

ديوان



الرافعي

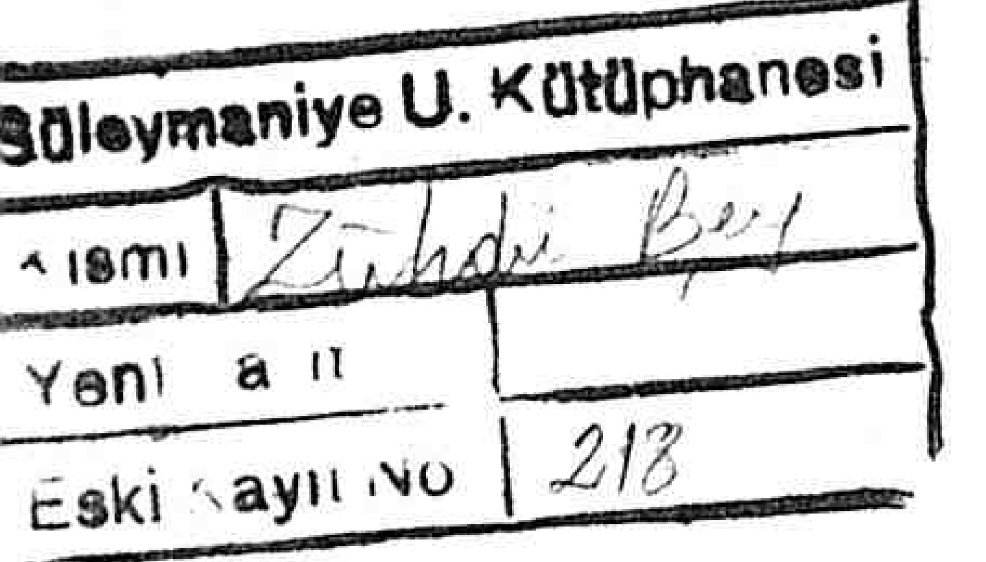
نظمه

مصطفى صادق الرافعي

وشرحه محمد كامل الرافعي

الجزء الثاني ١٣٢١ هـ

طبع بمطبعة الجامعة بالاسكندرية سنة ١٣٢٢


Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı Zühdi Bey
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No 218







مولانا امير المؤمنين السلطان

❊ عبد الحميد خان ❊

نصره الله

عريضة عبودية

لصاحب الجلالة العظمى ، ظل الله في ارضه ، سيدنا ومولانا امير المؤمنين ، السلطان الاعظم ، والخاقان الافخم ❊ عبد الحميد خان ❊ ايده الله ورعاه

يا مالك الشرقين يا رب النُّهى
يا آمرًا في العالمين وناهي

يا صاحب الحرمين يا مولى الانا
م وحامي الدين الحنيف الزاهي

يا مرغمًا انف العداة بحكمة
قد غادرت ركن الممالك واهي

هذا كتابي باسمك استفتحته
فغدا يتيه بحلة المتباهي

ولكون ظلك من ظلال الله فيـ
ـنا جئت باسمك بعد اسم الله

بنده

مصطفى صادق الرافعي



نظمه

مصطفى صادق الرافعي

وشرحه محمد كامل الرافعي

الجزء الثاني ١٣٢١ هـ

طبع بمطبعة الجامعة بالاسكندرية سنة ١٣٢٢

مقدمة الكتاب



في

سرقة الشعر وتوارد الخواطر

الشعر معنى لما تشعر به النفس فهو من خواطر القلب اذا افاض عليه الحس من نوره انعكس على الخيال فانطبعت فيه معاني الاشياء كما تنطبع الصور في المرآة . وهو من بعدُ كالحلم يخلق في المخيلة مما يصل الى الاعين ويتأدى الى الآذان ما لا يكون قد وصل ولا تأدى

وكما يأخذ النظر في مطرحه ما بين الارض والسماء يتناول القلب في مسرحه ما فوق سجف الغيم وتحت اطباق الثرى . وانما الخيال الساحر بين هذين انسان بين مَلَكيه ، وجسد بين يديه ، ومن سحره ان يضع اذنه على العين فتسمع ، وعينه على الاذن فترى . ولن تجد من شيء الا وعليه سمته ، وفيه صنته ، فانت تبصر الناس احياء يضطربون في حوائجهم وهو يحشرهم اليك في يوم الحساب ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب ، وبحسبك ان هذه الاكوان انما هي الحقائق ولكل حقيقة خيال

وهو مملكة الشعراء فما من ذي خيال منهم الا وقد خالطت قلبه لذة الملك في ساعة ربما كانت له في اليوم او الشهر او العام او العمر هي عنده الدنيا وهو ملكها . فاذا رنَّ فيها صوته تحرك الفلك فاسمعه من كل ارض فوجاً ، وارقص به في كل بحر موجاً ، وما تزال الايام تحتفظ من تلك الانفاس في صدرها حتى تبتني له ديواناً يعرفه به الناس ولولا انه كان ملكاً في تلك الساعات التي نظم فيها ما سُمي شعره ديواناً

والشعر اسباب يكون عنها فاذا هي اجتمعت في واحد فذلك . ولكنك قل ان تجد من يسمى شاعرًا بحق كما قل ان ترى من لا يريد ان يكون شاعرًا بالباطل . فمتى كان المرء على رقة في الحس وطبع في النفس وصفاء في الذهن وانتباه في الخاطر وبُعد في النظر وشدة في العارضة وقوة في البديهة ومثراة في الرواية وحنكة في التجارب وحكمة تحيط بذلك كله فقد اجتمع له من اداة الشعر ما يكون به شاعرًا . ولا تحسبن هذا النوع من الكلام مضغة يلوكها الشيخ الهِم والصبي الأدرد وليس في ماضغيْ احدهما ضرس يقطع بل لا بد لها من شكس الانياب حديد المخالب يطحنها طحنًا

ولقد كان عمرو بن العلاء والزمان زمان لا يعد الشعر إلا للمتقدمين فحدث الاصمعي قال : جلست اليه عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامي وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فمن عندهم ... ليس النمط واحدًا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع . ذلك والشعراء يومئذ متوافرون . على انه رحمه الله لو سمع اكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل ... فقد اصبح الزمن وما تطلع شمسه الا على جديد والقوم لا يزالون على ما كانوا يتمرغون في تراب الاولين فاذا عاقت يد احدهم بحلية دسها في شعره وجعلها آية فخره . وان لم يصادف شيئًا من ذلك فأيّة ما شئت ان تنفضها من كلمة لا تنتفض في يديك الا ترابا

وانما مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجه فاذا انقلب عنها لا يرجع اليها حتى تكون لجسمه تابوتًا ولذلك تراهم يحصرون القول في وجوه ويجمعونه في نوع منه الا ما كان لبعضهم من الندرة الواحدة والفلتة المفردة ... ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئًا يباع ويشترى ولكنه الضلال في النشأة والقصور في اسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة الى حد النزع بحيث لم يبقَ الا نفَسها الذي ينطلق بروحها . غير ما كان في الصدر المتقدم ممن جعل الشعر وكده وقصر عليه كدّه وليس ذلك وحده وانما نفاق السوق كما عرفت جلاب

ولهذا اصبح القوم في ايدي جهابذة الكلام ونقاد الشعر احق بقول ابن برد

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته   فأَنه عربيٌّ من قوارير

مع انه فتح عليهم اليوم باب جديد من الأخذ فتراهم اذا ضعفوا ترجموا واذا ضاقت بهم

مذاهب العربية استعجموا . وما انكر ان منهم من ينطبع على ما يأخذ به نفسه ولكنهم يخرجون بالشعر عن معناه وآية ذلك ان لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر بل تجد عليه من فساد التكلف ومغالبة الطبع وأثر الاستكراه وفيه من المعاني المدخولة ما لا تشك معه انه من مضاغة قائله الاول

وانما تنفخ النفس تلك الروح في الكلام اذا استوت فيه الصنعة فيتمثل بها سويًا

وعندي ان شرط الشاعر الذي ترتفع عنه مظنّة السرق هو ان تكون له قوة الشعر ودليلها الابداع والمضي في كل معنىً والانتباه الى أدق المناسبات فان الكلام كالشجرة منها الجذع ومنها الغصون والاوراق وما فيها من دقيق الخيوط بعضها فوق بعض في الظهور وانما براعة الشاعر في الالتفات الى تلك الدقائق فان من الكلام ما يتفطر للمعاني كما يتفطر الشجر للتوريق ومن اجل ذلك يسمون اجمل البيان وحيًا

والشعراء كالمصابيح ما على احدها ان يتألق بنور غيره ما دام في كل مصباح زينة غير ان اكثر مصابيح اليوم كهربائية يستوي الجمع منها في الاستمداد من مصدر واحد ... وقد كثرت آلات البخار وكثرت بها المعجزات حتى ان من خواطر هؤلاء الشعراء ما لا يتحرك الا (بنفَس)

ومرجع التفاوت بين اصناف القائلين انما يكون من مثل المنشاء يطبع في الانفس شياً مختلفات تغلب على بعضها دون بعض ومن مثل ما يكون في عصر دون عصر وما يقع لشاعر دون سواه وما يتفق للواحد ولا يتفق للآخر الى غير ذلك مما شرط جميعه وفور القوة في الشاعر فلا يستغرب من رجل كعنترة وهو ذلك الذي يتمثل الموت في هول صورته قوله

اني لاعجب كيف ينظر صورتي   يوم القتال مبارز ويعيش

ولا من مثل عاشق كذلك الذي نذروا دمه من اجل حبه بثينة قوله وهو امير شعره

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما   قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وانما شيمة العاشق هذا البكاء

ولا من خليع كالنواسيّ قوله يصف كؤوسًا رأى فيها تصاوير وهو الذي جُنّ به الجاحظ

فللراح ما زرَّت عليه جيوبها   وللماء ما دارت عليه القلانس

وكذلك لا ينكر على مثل ابي فراس قوله في الفخر

ونحن اناس لا توسط بيننا　　لنا الصدر دون العالمين او القبر

وهو ذلك الذي كان يزاحم في طلب الصدر ويعلم ان وراء الزلة في سبيله حفرة القبر ولا على من ترعرع في حجر الخلافة ونشأ في الترف كابن المعتز قوله في الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة　　قد اثقلته حمولة من عنبر

وقد قيل ان هذا البيت أُنشد لابن الرومي في ضمن ابيات وسُئل لِمَ لا تأتي بمثل هذه التشبيهات وانت اشعر منه فبكى وقال هذ ابن الخلفاء وهو انما يصف ماعون بيته وما حياتي وانا رجل اتكسب بالشعر واتبلغ بخبز الشعير

وما بالصعب على مثل المعرّي وهو الزاهد في الحياة الذي كانت ايامه كانها العقارب تتعاقب جسمه . ان يجيء بمثل قوله

تعبٌ كلها الحياة فما اعجب الا من راغبٍ في ازدياد

وقس على ذلك كل من قال من الشعراء في جنس ما هو بسبيله فان هاجسه لا ينكر عليه وان توارد مع غيره فيه

على ان للتوارد اسباباً غير ما تقدم منها ما يكون وحي العين اذا نزع الشاعر منزعاً في صنعته كقول عمارة اليمني في مصلوب

ورأت يداه عظيم ما جنتا　　ففَرَرْنَ ذي شرقا وذي غربا

وامال نحو الصدر منه فماً　　ليلوم في افعاله انقلبا

فان من ينزع الى التعليل اذا شهد ذلك المشهد لا يجيء بغير هذا المعنى . ومنها ما يكون حادثة تتفق او حالة تنزل بالمرء كقول جليلة اخت جساس في الاستقادة من اخيها حين قتل زوجها

لو بعين فقئت عينٌ سوى　　اختها فانفقأت لم احفل

وكقول ابن حسان فيما كتب به الى النعمان يستنجده وكان له ظهيرا

انما الرمح فاعلمنَّ قناة　　اوكبعض العيدان لولا السنان

ومنها الاسلوب فان من الشعراء من يبني القافية بالبيت ومنهم من يبني البيت بالقافية . والتوارد كثير بين هذه الطائفة كقول النابغة وكان الاصمعي يتعجب من جودته

وعيرتني بنوا ذبيان خشيته　　وهل علي بان اخشاك من عارِ

فلما مرت هذه القافية بأبي تمام وكان في معناها قال وابدع كما ترى

خضعوا لصولتك التي هي عندهم　　كالموت يأتي ليس فيه عارُ

ومنها دلالة الكلام بعضه على بعض اذا وفّاه القائل قسطه من الصنعة وقد سمع ابن عباس رضي الله عنهما قول ابن ابي ربيعة

تشط غداً دار جيراننا

فقال : وللدار بعد غد ابعدُ

وكذلك قال عمر وما ينبغي ان يكون الا هكذا . ومثله يروى عن الفرزدق حين سمع قول عدي

تزجي اغنّ كأن ابرة روقه

فاكمله بقوله　　قلم أصاب من الدواة مدادها

وكان يعرف قافيتها وكذلك كان البيت

ومنها اختلاس المثل من جملة بعينها واشتراك المعاني كأن تكون مستفيضة في المناقلات او واقعة لو شاء كل امرىء لوجد اليها مساغاً وكذلك التمهيد بلفظة تؤدى الى معنى لا يكون منها غيره اذا عرضت للحاذق بصناعة الكلام وغير ذلك مما مرجعه في الغالب الى ما تقدم ومثله لا يكون سرقة يعاب بها قائله ما دام على شريطة الشاعر فان التفاضل انما يكون في ابتكار الاشياء على طريقة الشعر لا على طريقة النظم . وقد قال امير المؤمنين لولا ان الكلام يعاد لنفد . وسئل ابن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلقَ واحد منهما صاحبه ولا سمع شعره قال تلك عقول رجال توافت على السنتها . وقيل لابي الطيب مثل ذلك فقال الشعر محجة فربما وقع الحافر على موضع الحافر

اما السرقة فقد اجتمع اهل البصر بالشعر على ان أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه وهم يريدون بذلك ان يكون ما بين قلبه ولسانه انفاساً تتردد شعراً . وقالوا انه ليس لاحد من اصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم ان يبرزوا ما اخذوه في معارض من تأليفهم ويؤدوه في غير حليته الاولى ويزيدوا في حسن تأليفه وجودة تركيبه وكمال حليته ومعرضه فاذا فعلوا ذلك فهم اولى بها ممن سبق اليها . وهو كلام لا يمترى فيه ولكن شرطه ما ذكرناه لك من قبل

واعتبره بمثل قول سعيد بن حميد

يا ليل لو تلقى الذي ... أَلقىَ بها أَو أَجدُ

قصر من طولك او ... أَضعف منك الجلد

فقد اخذه المتنبي وهذبه في قوله

أَلم يرَ هذا الليل عينيك رؤيتي ... فتظهر فيه رقة ونُحولُ

واكثر ما يبدع ابو الطيب في مثل ذلك من الزيادة والتهذيب والتمهيد لمعنىً يأخذه بما يدخل منه اليه كقوله

كريم نفضت الناس لما بلغته ... كأَنهم ما جفَّ من زاد قادم

وكاد سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عمري المتقادم

فانه من قول الوابلي

وتركته يبكي بقية عمره ... اسفاً لماضي عمره المتقدم

واعجب شيء في امر السرقة انه قد وجد من قبل من كان يقول لصاحب الكلمة الرائعة «اياك واياها لا تعودنَّ فيها فاني احق بها منك» وما كان يروى لغير ابي النواس معنىً بديع يسمعه في الخمر وهو حي· وانما هي شهادته على نفسه· ولم يزل الناس من قديم ينظرون في وجوه المعاني من بنات غيرهم فيجد الآخر مما تركه الاول ما لو علم انه تركه لاوصى بدفنه معه ···

حتى قال بعض العلماء ان ابن الرومي كان ضنيناً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى او يولده فلا يزال يقلبه بطناً لظهر ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية حتى يميته ويعلم ان لا مطمع فيه· ثم تجد من بعده قد اخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ووجد له وجهة حسنة لا يشك البصير بالصناعة ان ابن الرومي مع شرهه لم يتركها عن قدرة

ومن المعاني ما ينبه بعضه على بعض مما يكون وراء لفظة او تحت نادرة حتى لقد تجد في بنيات الطريق ما تستخرج منه المعنى الفحل والخاطر الرائع وللشاعر من ذلك فضل لا يغمط فيه حقه· وكثيراً ما كان الطائي ينحو هذا القصد كما قال عنه ابن الرومي «انه يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها (١)

(١) وجدوا هذه الكلمة في تسطيرات ابن الرومي في بعض اعتذاره عن ابي تمام وقد قال بعضهم ان المراد معنى الصنعة البديعية لا معنى الكلام

ومن تلك المذاهب طريقة كان يذهب اليها حكماء الشعر كابي العتاهية وابن عبد القدوس والمتنبي والمعري وافراد هذه الطبقة وهي ايداع الدر في الصدف او خلقه فيه فكان الواحد منهم يقع على قول الحكيم فيقتطفه ومنهم من يحوزه بما يستفرغ فيه من جهده كقول المتنبي

أنّا لفي زمن ترك القبيح به ... من اكثر الناس احسان واجمال

قالوا اخذه من قول الحكيم «من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل»

وقوله

واذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الاجسام

من قول الآخر· «اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم قبل بلوغ الشهوة»

وكذلك قوله

واذا لم يكن من الموت بُدٌّ ... فمن العجز ان تكون جبانا

ذكروا انه لبعض الحكماء في قوله «خوف وقوع المكروه قبل تناهي المدة جور في الطبيعة وذلة» وما اراه الا من قول جرير

قل للجبان اذا تاخر سرجه ... هل انت من شرك المنية ناجي

غير ان ابا الطيب رحمه الله كان يدبّ الى عرائس المعاني في غير ظلام، ويستيقظ لها والقوم غير نيام، ولذلك وجدها معه كما في قوله «قلق المليحة وهي مسك هتكها» وكان يأخذه من هيبة الكلام احياناً ما يدع معه الاتباع او يبلغ به الى افساد المعنى· وكذلك كان البحتري في بعض سرقه من ابي تمام وكثير غيرهما ممن اذهلته المعارضة فلم يتتبع على نفسه

وجملة ما انتهى اليه الباحثون ووقف عليه الحافظون مما هو في معنى السرقة انواع منها الاصطراف وهو ان يعجب الشاعر ببيت لغيره فيصرفه الى نفسه ويسمى اجتلاباً واستلحاقاً اذا صرفه على جهة المثل كقول النابغة

وصهباء لا تخفى القذى فهو دونها ... تصفق في راووقها حين تقطب

تمززتها والديك يدعو صباحه ... اذا ما بنوا نعش دنوا فتصوبوا

فقد استلحق الفرزدق البيت الاخير في قوله

واجانة ريّا السرور كأنها اذا غمست فيها الزجاجة كوكب

تمززتها البيت ..

فان ادعى القائل شعر غيره جملة فهو انتحال (١) فان كان الشعر لشاعر حيّ غلب عليه فتلك الاغارة والغصب فان اخذه «هبة» فتلك المرادفة والاسترفاد . وقد استرفد نابغة بني ذبيان زهيرًا فامر ابنه كعبًا فرفده . فان كانت السرقة فيما دون البيت فهو اهتدام كقول النجاشي

وكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

فاخذ كثير القسم الاول واهتدم باقي البيت فقال

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلتِ

فان تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الاخذ فذلك هو النظر والملاحظة وكذلك ان تضادّا ودل احدهما على الآخر . فان حوّل المعنى الى غيره فذلك الاختلاس . فان اخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة . فان جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك العكس . قالوا وان «صح» ان الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك (الموارَدة) (٢) فان الف البيت من ابيات قد ركب بعضها على بعض فذلك الالتقاط والتلفيق . وامثال هذا النوع كثيرة اليوم بين ايدينا لا ينفك يلعن بعضها بعضًا وقد ضربوا له المثل فيما سبق بقول يزيد بن الطثرية

اذا ما رآني مقبلا غضّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فأوله من قول جميل

اذا ما رأوني طالعًا من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير

(١) ذكروا انه لا يقال منتحل الا لمن ادّعى شعرًا لغيره وهو يقول الشعر فاما ان كان لا يقوله فهو مدّع

(٢) خصوصا كما ترى بوجود الشاعرين في عصر واحد لما كان من شأنهم في الحفظ والرواية وهو مشهور بحيث لم يكن يخفى عليهم شيء من شعر الفحول فاذا وجدوا معنى لمتأخر يشبه معنى لمتقدم حكموا بانها السرقة . وذلك لا ينطبق على كل الاحوال كما قدمناه في التوارد

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة بن الاخرس

اذا ابصرتني اعرضت عني كأن الشمس من قِبَلي تدور

ومن تلك الانواع ضرب يسمونه كشف المعنى كقول امرىء القيس

نمشّ باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مهضبِ

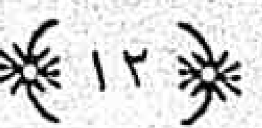
كشفه عبدة بن الطيب وابرزه في قوله

ثُمَّتَ قمنا الى جُرد مسوَّمة أعرافهن لايدينا مناديلُ

وذكروا ان من السرقة ما يكون مجدودًا في الشعر كقول عنترة «وكما علمت شمائلي وتكرمي» رزق جدًا واشتهارًا على قول امرىء القيس

وشمائلي ما قد علمت وما نبحت كلابك طارقًا مثلي

والتنقيب على مثل ذلك في الكثير من شعر اليوم كحرارة الشمس في الوحل لا تنضجه آجرًا يُبنى به حتى تكون قد بردت الشمس واستحالت فحمة سوداء وطويت الارض بمن عليها . فلو نطقت المدافع بسرقات هؤلاء الشعراء ما سمع احد ومن فُتق سمعه فهيهات ان عي وان وعى فمبلغ ما يكون منه ان لا يزيد على الاسف : ولو ان الحسرة تؤثر شيئًا لانقلب الجو نارًا ولكننا نُنصف القوم من انفسهم وهذا كتابنا ينطق عليهم بالحق وهم لا يظلمون



كلمة للشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وصلاته وسلامه على نبيه المصطفى الناطق بالحكمة وعلى آله وصحبه (اما بعد) فهذا هو الجزء الثاني من (ديوان الرافعي) وان كان الاول هو القمر فان هذا هو الشمس وكم في الفضاء بعدهما من شمس ومن قمر

طلع ذلك الجزء على الناس فجاءة وله تلك المقدمة التي لم يتمار احد في انها فصل الخطاب في الشعر والشعراء فانتبه ادباء العربية لامر سيكون وانتظروا من شاعرنا روحاً عالية تنطق المتقدمين بلسان قلمه ، وتحيي انفاسهم في روائع كلمه ، ولكن اكثرهم مع ذلك ممن لا يعرف الشاعر انكر على ابن ثلاث وعشرين تلك الحكمة الكهلة وذلك الديوان النفيس ينظمه في سنتين هما اول قوله بعد سنة قبلها حتى خاطبه بعض امراء القلم في هذا الامر فقال له (شاعر الحسن) اذا اكبر الناس نظم جزء في سنتين فسأشق لهم القمر . وشاء الله ذلك فنظم هذا الجزء فيما دون السنة وهو يكفينا ان نشهد له بما يشهد لنفسه

وقد زعم قوم اننا اطربنا الشاعر فيما كتبناه مقدمة للشرح وشرحاً للجزء الاول واخذوا علينا من ذلك هفوة بزعمهم ولكننا نردهم الى ما كتبه احكم العلماء واعلم الحكماء في هذا الزمن وهو فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله فقد جاء في خاتمة كتاب بعث به اليه بعد صدور ذلك الجزء هذه الكلمة « اسأل الله ان يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق به الباطل ، وان يقيمك في الاواخر مقام حسان في الاوائل ، » وهل

كان يطاول مقام حسان في الاوائل مقام وهو هو المؤيد بروح القدس ؟ على انا لو شئنا ان نحيلهم على شيء لاحلناهم على اقوال اشعر شعراء الوقت وافاضله من كل كاتب وحكيم والكل مجمعون على ان (الرافعي) ان لم يكن (شاعر الشرق) اليوم فهو شاعره غداً وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

وانما مثل اوائك الذين (يقال) انهم ادباء في جمودهم على ما لهم من رأي وفيما ينفسون على (الرافعي) مثل رجل قال الجاحظ انه كان بالبصرة وكانت له جارية تسمى ظمياء فكان اذا دعاها قال يا ضمياء بالضاد فقال له ابن المقفع قل يا ظمياء فناداها يا ضمياء فلما غيَّر عليه ابن المقفع مرتين او ثلاثا قال هي جاريتي او جاريتك .... ونحن بعد ذلك لا نلومهم على شيء

بقي اننا ما زلنا نجد من قصور بعض الناس في النفوذ الى مسالك الشعر الحق ما الزمنا ان نتولى شرح هذا الجزء ايضاً . ومن اللطائف ان كاتباً شهيراً قال لشاعرنا مرة ان خمسة وتسعين من كل مائة قارىء لا يفضون الى هذه الحقائق فاجابه الشاعر بهذه الكلمة الحكيمة : اوليس خيراً للناس ان يرتقوا الي من ان انزل اليهم ؟

وقد الح عليه كثير من اخوانه ان يضع في هذا الجزء رسمه وكلمة في ترجمته فكان يقول لهم (ان في كل عين انساناً) يريد ان الناس ما زالوا مع الاهواء فكل ينتصر لواحد ولا يبصرون الحق كما قال الاول ولكن ملء عين حبيبها

فعسى ان يعرف القوم ان بعض الفلاسفة كان يخالف صديقاً له فيلسوفاً في كثير من رأيه فقيل له كيف تخالفه وهو صديقك فقال (الحق اولى بالصداقة منه)

محمد كامل الرافعي

الباب الاول

« في »

التعذيب والحكمة

اللغة العربية والشرق

أمٌ يكيد لها من نسلها العقبُ   ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ (١)

كانت لهم سبباً في كل مكرمة   وهم لنكبتها من دهرها سببُ

لاعيب في العرب العرباء ان نطقوا   بين الاعاجم الا انهم عربُ

والطير تصدح شتىً كالانام وما   عند الغراب يزكى البلبل الطربُ (٢)

(فائدة) أول من فسر الشعر تحت كل بيت أبو الخطاب الاخفش وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها · ثم اخذ المتأخرون عن الفرنجة طريقة جمع التفسير في اسفل الصحائف مبيناً بأرقام العدد وطريقة الاولين أوفى بحاجتهم لما كان في كلامهم من الغريب الذي يسأم الانسان تكرار النظر الى اسفل الصحائف للمراجعة عن كل كلمة منه

(١) العقب الولد وولد الولد · والنقيصة الخصلة الدنيئة وكذلك المرء على ما ينشأ ويشب فهو يكيد لاصله حباً في منشاءه كما ترى في بعض ملوك اليوم

(٢) تختلف الطير في اصواتها والوانها فمنها المليح والقبيح وما يقوى فيها يكون عدواً لما يضعف وكذلك لغة العامة على قبحها تغلبت على الفصحى لقوة الاولى وضعف الثانية فمثل لها الشاعر بالبلبل لايمدح صوته الغراب وان طرب له كل العقلاء · ومن غريب تفاضل الطير في اصواتها ان عصفور الكناري الموجود في (جرمانيا) يغير اربعين نغمة في اغنية واحدة تستمر دقيقتين

اتى عليها طوال الدهر ناصعةً   كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ (٣)

ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها   كالبدر قد طمست من نوره السحب

ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبه   صبح فكان ولكن فجرها كذبُ (٤)

ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدة   كأنها لعنة في الجو تلتهبُ (٥)

سلوا الكواكب كم جيل تداولها   ولم تزل نيرّاتٍ هذه الشهبُ

وسائلوا الناس كم في الارض من لغة   قديمة جدَّدت من زهوها الحقبُ

ونحن في عجبٍ يلهو الزمان بنا   لم نعتبر ولبئس الشيمةَ العجبُ

ان الامور لمن قد بات يطلبها   فكيف تبقى اذا طلابها ذهبوا

كان الزمان لنا واللسن جامعة   فقد غدونا له والامر ينقلبُ (٦)

وكان من قبلنا يرجوننا خلفاً   فاليوم لو نظروا من بعدهم ندبوا

(٣) طوال الدهر المدد الطويلة منه · والناصعة شديدة البياض يقال ابيض ناصع واصفر فاقع واحمر قانٍ واخضر مدهام واسود حالك

(٤) الفجر عند العلماء فجران كاذب وصادق فالاول يضيء آخر الليل ثم لا يلبث ان يظلم والثاني يشرق من بعده ثم ياخذ في الاستنارة حتى يكون النهار

(٥) حكى في هذا البيت والابيات الثلاثة قبله تاريخ هذه اللغة من يوم كانت الى عصرنا هذا على طريقة ليس غيرها من الشعر في شيء · فقد مضت عليها ازمان الى ما بعد الاسلام وهي سالمة نقية ثم دب فيها اللحن على عهد علي كرم الله وجهه وفي ايامه وضع النحو على ما هو مشهور · ثم استضاءت بعد ذلك في زمن الامويين وطائفة من العباسيين ثم اخذت في الضعف بعد ذلك حتى اختفت اليوم او كادت · وكيف لا تكون جمرة الشمس لعنة ولا وطن بعد اللغة ولا مجد بعد الوطن ولا فائدة في الحياة بغير مجد

(٦) اللسن جمع لسان وهذا كما قدمنا من انه لا وطن بعد لغة الخ · وانما الزمان على من لا مجد له يعتز به

أنترك الغرب يلهينا بزخرفه ... ومشرق الشمس يبكينا و ينتحب(٧)

وعندنا نهرٌ عذب لشاربه ... فكيف نتركه في البحر ينسربُ(٨)

وأيما لغة تنسي امرأً لغةً ... فانها لعنة من فيه تنسكبُ

لكم بكى القول في ظل القصور على ... ايام كانت خيام البيد والطنبُ

والشمس تلفحه والريح تنفحه ... والظل يعوزه والماء والعشب

ارى نفوس الورى شتى وقيمتها ... عندي تأثرها لا العز والرتبُ(٩)

ألم ترَ الحطب استعلى فصار لظىً ... لما تاثر من مس اللظى الحطبُ

فهل نضيع ما ابقى الزمان لنا ... وننفض الكف لا مجدولا حسب

انا اذًا سبة في الشرق فاضحة ... والشرق منا وان كنا به خرب(١٠)

هيهات ينفعنا هذا الصياح فما ... يجدي الجبان اذا روّعته الصخَب

(٧) لا يعنى بالزخرف كل ما يصل الينا من الغرب وانما يعنى باطل الامور والسفاسف التي يسمونها (تمدنًا) وهي التي جابت الخزي على الشرق واهله وصارت بهم الى ما تراه اليوم

(٨) شبه اللغة بالنهر ويعني بالبحر جانب الغرب وقد وضعوا للنهر الحقيقي خزانًا يحفظ لنا ما نحن اولى به من البحر الذي كان يصب فيه فهل يضعون لذلك النهر المجازي ما يسد ذلك المسد . حاولوا ذلك ولكن اتفقوا بعد على ان لا يتفقوا . . .

(٩) من القواعد الثابتة ان الاحتكاك يوءثر في الطباع ومن لم يتاثر لما يصيبه فليس بذي نفس حية . وقد جهدت حكومة الانكليز ان تمحو لغة الشعب المالطي لتحل مكانها اللغة الانكليزية فكانت كالذي يطفيء النار بالهواء . . فقد نهض الشعب جملة حتى ان النواب الثلاثة الذي كانوا يدافعون الحكومة استقالوا من وظائفهم لاضطهادها اياهم وفتح باب الانتخاب لاختيار غيرهم فاتفق الشعب على انتخابهم انفسهم فاستقالوا مرة ثانية وفتح الباب فانتخبوا ايضاً في المرة الثالثة ثم استقالوا دفاعًا عن انفسهم وهذه هي الحياة .

(١٠) السبة بالضم العار ومن يكثر الناس سبه وكلاهما منطبق على الشرقيين وتاريخهم غير مجهول

ومن يكن عاجزًا عن دفع نائبة ... فقصرُ ذلك ان تلقاه يحتسب(١١)

اذا اللغات ازدهت يومًا فقد ضمنت ... للعُرْب اي فخار بينها الكتبُ

وفي المعادن ما تمضي برونقه ... يد الصدا غير انْ لا يصدأ الذهب

وقال

الفقر والغنى

زمانٌ عِشنا فيه اضطرارُ ... كما تحت الثرى دفن النضارُ (١)

نحاذره ومن يخش الرزايا ... فاصعب من رزاياه الحذارُ(٢)

ويلهو بعضنا كالشاة ترعى ... وقد حُدت بجانبها الشفارُ

واطراق الزمان يغر قومًا ... وما اطراقه الا افتكار

يظن المرء انْ قد فر منه ... ولكن كان منه له الفرار

(١١) احتسب الرجل ابنه او ابنته اذا مات احدهما كبيرًا اي اعتده اجرًا ينوي به وجه الله فاذا مات احدهما صغيرًا قيل افترطه . ومن آيات العجز بين الشرقيين ان الانكليز لما زحفوا على (تيبت) وهي مقر الدين البوذي اجتمع كهنة بوذا وعقدوا مجلسًا منهم ثم اصدروا «لعنة» ووجهوها الى الحملة الانكليزية وسألوا الاله ان تحل هذه اللعنة عليها ثلاثة ايام فاخلد اهل البلاد الى الراحة موقنين ان (اللعنة) ستنسف المعسكر بمن فيه فلا حاجة للقتال . . .

(١) النضار الذهب وهو يكون دفينا في عرق الثرى مع ان بين الذهب والتراب من الفرق بين الناس ما تنعدم معه النسبة

(٢) حذار الرزية رزية مثلها واصعب . وقد قيل ان عليًا كرم الله وجهه سئل بمَ تظهر على الاقران فقال : ذاك لاني القى الفارس فاقدر اني ساقتله ويقدر هو كذلك فاكون انا ونفسه عليه .

اذا وسعت في قفص لطير   فكيف يفر واقفص المطار(٣)
ارى ما تمنح الدنيا هموماً   فاهنى العيش أمن وافتقار(٤)
وكيف يسر ذو دين تراه   يزيد ديونه هذا اليسار(٥)
لعمرك انما الاموال حزن   فان العمر ثوب مستعار(٦)
وما مات الغني بغير هم   وأية حسرة هذا الخسار(٧)
كأن المال اقلام فمنها   بسفر العمر حذف واختصار(٨)

---

(٣) المطار اسم مكان من طار . يريد انه مهما وسع للطير في قفصه ليطير فيه فلا يزال كما كان من قبل حبيساً في القفص وان طار وكذلك المرء في الدنيا وسع عليه او قتر فهو في سجنه الى ان تنطلق روحه .

(٤) قيل ان اسكافاً كان جاراً ليهودي متمول فتسمع عليه اليهودي ذات ليلة فاذا هو يتمنى مائة دينار فطرق عليه بابه ودفعها اليه ولم يكن عند الاسكاف سراج لنقره فبقي ليلته يمر يده على الكيس ويعد ما فيه ويرفعه ويضعه ويتلذذ بسماع وسوسة الدنانير والنوم يدفعه ويجذبه ولكنه خائف علي ما في يده حتى طلع الصباح ولم يكن عادته الارق لخلو باله فما اشرق النهار الا وهو في مثل سكرة الموت من الاعياء فذهب الى جاره اليهودي وقال له خذ مالك وردّ علي نومي فلا خير في غنى تضيع معه الراحة

(٥) يريد ان غنى المرء كالدين يتعب الفكر ويجلب الهم لانه مستعار الى الموت وكلما زاد يسار المرء زادت في الحقيقة ديونه وهي هموم كلها.

(٦) قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان فلاناً قد جمع مالاً فقال عمر: فهل جمع له اياماً..

(٧) الفقير اذا دعاه ربه اسرع اليه غير آسف على شيء لانه لم يترك شيئاً والغني يرى انه خسر تعب العمر كله في لحظة . وقد قيل ان بعض الخلفاء راى في ساعة احتضاره قصاراً يغسل الثياب فقال يا ليتني كنت قصاراً فسمعه رجل من الصوفية فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه

(٨) شبه العمر بالكتاب والاموال بالاقلام فهي تحذف منه وتختصر فيه والغني لا يشعر بلذة الحياة فكأن عمره وان طال قصير غير ما يقاسي من العلل والهموم التي يسببها الترف

كأن خزانة الاموال قبرٌ   ففي نفس الغني بها انكسار
ويا عجباً من الاقدار تجري   وبعد وقوع ما تجري تدار
رايت الفقر للفقراء حظاً   وفي اهل الغنى لهم اعتبار
وان نال الفقيرَ الهمُّ يوماً   فأهون من لظى النار الشرار(٩)
يذل له الزمان فلا يبالي   بما يأتي المساء ولا النهار
فيا كوخ الفقير غدوت دنيا   وكل الارض للفقراء دار
على تلك القصور ارى دخاناً   اخف عليك منه ذا الغبار
وفيك سلامة من كل هم   وفيها من هموم الدهر نار
عليك الشمس تاجٌ لم ينله   سواك ومن حلى الظل السوار
وان يكن الزمان له امير   فمن فيه لذا الدهر احتقار
كأن الدهر الابس جلد هر   وكل مملك في الناس فار(١٠)
وما يغني كبارَ الاسم شيءٌ   وانفسهم وان كبروا صغار(١١)

---

(٩) قال عمر (رضه) ما كانت الدنيا همّ رجل قط الا لزم قلبه اربع خصال فقر لا يدرك غناه وهمّ لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد اولاه وامل لا يبلغ منتهاه

(١٠) يشير الى الخوف الذي يحرم الملوك من لذة الحياة وكلهم في ذلك سواء بعد ان ظهرت عصابة الفوضى وما نعيم قصور هي والسجون سواء ؟

(١١) يريد بذلك اهل الفخفخة الباطلة فترى المرء يشرف نفسه بما لو ظهر الناس عليه لكان سبة له وانما هم كما حكى الوليد البندار قال : حججت مع الوليد بن يزيد فقلت له لما اراد ان يخطب الناس ايها الامير ان اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق واريد ان (تشرفني) بشيء قال وما هو قلت اذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبانك اسررت الي شيئاً فقال افعل فلما جلس على المنبر قال: الوليد البندار فقمت اليه فقال ادن مني فدنوت فاخذ باذني ثم قال « البندار ولد زنا والوليد ولد زنا وكل من ترى حولنا ولد زنا » افهمت... ؟ قلت نعم قال انزل الآن فنزلت.

فيا كوخ الفقير اذًا سلاماً   فانت لبهجة الدنيا وقار
وما تلك القصور سوى ذنوب   وانت لها من الدهر اعتذار

وقال

في طغيان الاغنياء والنعي على اهل الكسل من الفقراء

ارى الانسان يطغي حين يغنى   وما ادني الهبوط من الصعودِ
يظن الناسَ من خلقٍ قديم   ويحسبه اتاهم من جديدِ
كما تعمى البهائم حين ترعى   عن الشوك الكثير لاجل عودِ (١)
متى كانت « جيوبك » من نضار   فقد صارت جنوبك من حديدِ
ومن عجب يكون المال تاجاً   وحب المال اشبه بالقيودِ
فيا اسفاً على الفقراء امسوا   كمثل العود جفف للوقودِ (٢)
دموعهم دنانير ولكن   تعامى الناس عن هذي « النقودِ »
اليس من التغابن وهو ظلمٌ   جزاء السعي يكتب للقعودِ
ومن يحصد فان الويل ان لا   يذود الطير عن حب الحصيدِ
ومن يحمل على عنق حساماً   فقد ظمئ الحسام الى الوريدِ
وما زال الورى بعض لبعض   حسوداً يتقي شر الحسودِ

يقول الناس ان المال ماء   به يحيى الجد مع البليدِ

(١) يريد ان في احتقار الفقراء ضرراً على الغني فهم كمثل الشوك وهو كالبهيمة تطلب من بين ذلك الشوك الكثير عودها الذي تمضغه فاذا لم تحذره لا تسلم منه . وهذه بزرة الفوضى التي اصبح لها في كل بلد فرع .

(٢) يجففهم في الامتهان بالخدم ثم يموتون بعد ذلك مرضاوهماً كالعود يجفف فلا يكفي منع مواد حياته عنه حتى يوضع في النار

أكالماء المرشح ما تراه   حوى الكدرين من طين ودودِ
واين البحر يضطرب اضطراباً   من المستنقعات على ركودِ
كذا خلق الانام فمن شقي   يلازمه الشقاء ومن سعيدِ
ومن يسخط على زحل فلم لا   يدير بكفه نجم السعودِ (٣)
وكم بين النحاس وان جلوه   وبين توهج الذهب الشديدِ
نواميس جرت في الكون قدماً   ليتضح الفناء من الخلودِ

الحرب والسلام (١)

هم الناس حتى يرويَ الارض مدمعٌ   وتالله يروى آكل ليس يشبعُ (٢)
ظماءةُ جوف أجَّ شوقاً الى الورى   وبعض الظما قد يلتظي حين ينقعُ
ومسغبةٌ لا يبلغ الخلق دفعها   وان بطنَ الاحياء في الارض اجمعُ (٣)
فيا بارىء الدنيا حنانيك انما   طغى الناس جهلاً بالذي كنت تشرعُ

(٣) زحل في الخرافات القديمة كوكب النحوس كما ان المشتري كوكب السعد وهكذا خلق الناس ليتم نظام الكون فمنهم شقي وسعيد

(١) من الخرافات الموضوعة ولا تخلو من حكمة ما قيل ان السماء ارادت ان تقع على الارض فقالت لها هذه وما ذنبي اليك قالت ان فيَّ نيراناً كثيرة واريد ان ارجم بها هؤلاء (الشياطين) الذين تحملينهم فخافت الارض على نفسها فطلبت من السماء ان تجعل لها زمناً تنفي فيه اولئك الشياطين من غير ان تتساقط عليها الشهب فجعلت لها ميعاداً الى يوم القيامة فعهدت الارض بهذا الامر الى الشيطان الاكبر (ابليس) فوضع في كل صدر جمرتين وقال هما سيفي ورمحي افني بهما الخلق وهما (الحرص والطمع)

(٢) قد يحذف حرف النفي بعد القسم بالتاء كما هنا والتقدير وتالله لا يروى

(٣) اجيج النار والتظاؤها توهجها والمسغبة الجوع وبطن في الشيء صار في باطنه وابطنه هو جعله فيه

لكل فؤادٍ غير ان طبيعةً ... من الشر بين انقلب واقلب تقطعُ
وكلٌّ جرى فيه دمٌ غير انني ... ارى الحرص طفلاً من دم الناس يرضعُ
وبين المنى والنفس للشر موقف ... فان لم تزعه النفس اقبل يسرعُ
وكل ضعيف الراي منفتل الهوى ... عن الحزم يُمنى بالهوان فيخضعُ (٤)
وتالله ان الذنب للمرء اهلهُ ... ففي اي شكل تطبع الطين يُطبعُ (٥)
واعجب ما في الناس ان يتألموا ... اذا اوجعتهم نكبة ثم يوجعوا
وان يَخدع الانسان غير مجامل ... ويجزع ان امسى كذلك يُخدعُ
وفي الناس حق ما يزال وباطل ... ولكنهم للحق بالباطل ادعوا (٦)
لحا الله دهرًا شدَّ بالقوة الهوى ... فكل قوي شاء ما شاء يتبعُ
وهب أن هذا الظلم كان سياسة ... فمن قال ان الظلم في الظلم يشفعُ (٧)
لعمرك لو تبنى السياسة حجرة ... بغير قلوب الناس باتت تزعزعُ
ولو رفعوها فوق غير ضعافهم ... لما وجدوها آخر الدهر ترفعُ
اذا لم يكن للضعف حول فمن اذًا ... بتلك القوى غير الضعيف يجمّعُ
حنانيك يارب الضعاف فهم كما ... تحمل قيدَ الارجل الضخم أصبعُ
وويلاه ماهذي الحروب ومن ارى ... فقدماً عهدنا الوحش في الوحش يطمع
معايب الا ان كم من فظيعة ... لها مصدر ان ينكشف لك افظع

(٤) انفتل عن موضعه انحرف .

(٥) كل مولود يولد على الفطرة فابواه ينشآنه على الخير او الشر ولكل امرىء ما تعود

(٦) الحق والباطل موجودان ولكن كل انسان يريد ان يكون في الحق ولو بالباطل وقد قال بعض الحكماء لو سكت من لا يعلم اسقط الاختلاف

(٧) يشير الى فساد مذهب القائلين بان الغاية تبرر الواسطة

فويح الورى هم سعروها وبعضهم ... لها حطبٌ والبعض فيها موقع

* *

ونقع دجوجيٍّ ترى السحب فوقهُ ... لما راتها من برقه تتقطع
اذا انفرجت للريح فيه طريقة ... نجت وبها حمىً تئز وتسطع (٨)
وان طالعة الشمس تذهل فلا ترى ... امغربها في النقع ام ذاك مطلع
وقد كشفت تلك العجوز نقابها ... وقالت لاهليها قفوا ثم ودعوا
والقى الردى صيحاته دافعاً بها ... لذاك فم الموت اسمه اليوم « مدفع »
على عصبة لم يظلموا غير انهم ... مفاتيح اما قيل اغلق موضع
تعاطوا كؤوس الموت في حومة الوغى ... وذاك رنين الكأس بالكأس تقرع
ولله ما اشهى الردى بعد ضيقة ... تكون طريقاً للتي هي اوسع
كأنهم والموت جلَّ جلاله ... سجود يخافون العذاب وركع
كأن ثياب الموت كنَّ بواليا ... عليه وبالارواح امست ترقع
كأن الردى اذ حجل الجند حوله ... وقد عطشوا حوض من الماء مترع
كأن فم الميدان اصعد زفرة ... من الجيف الملقاة لله تضرع
زلازل ويل ماتني الارض تحتها ... تهزهزُ حتى اوشكت تتصدع
اذا نفعت ضرت وما خير نعمة ... تضر الورى اضعاف ما هي تنفع
كذاك ارى الدنيا فتاةً شنيعةً ... فان ولدت جاءت بما هو اشنع
كأني بهذي الارض قلباً معلقاً ... وما ملك الا له الحرص اضلع
كأنْ قد غدا الانسان وحشاً فلا ارى ... يعزّ الا المرء واديه مسبع (٩)

(٨) ازيز القدر صوت غليانها والحمى تئز اي تكاد لحرارتها ان يكون لها صوت .

(٩) ارض مسبعة كثيرة السباع وكنى بها عن قوة الجند والاعوان

وان يأمر الملَكُ الذي ليس تحته سرير من القتلى فهيهات يسمع
ولن تصبح الدنيا سلاماً ورحمةً على اهلها ما دام في الناس مطمع(١٠)

وقال

في شأن الشرقيين اليوم

كلٌّ يقول شقينا … وكاننا فات امسهْ
هذا يُحيل على ذا … وآفة الكل جنسهْ
وبعضنا يتسامى … فليس يسمع حسه
يرثي لمن ليس منه … وموت اهليه عرسه
من كان ضرس سواه … فليس يعنيه ضرسه (١)
والله لو عقل الشرق … لاختفت عنه شمسه

(١٠) من عجيب شأن الناس ان القوي يطمع في غيره ويدعي ان غيره هو الطامع فيه وما دام هذا شانهم فالرحمة بعيدة عنهم . ومما يتفكه به ما كتبته احدى الصحف الالمانية عن الحرب الدائرة اليوم وهو من قبيل الخرافات الحكيمة قالت : ان القديس بطرس رئيس الحواريين دخل على المولى فقال اي رب اعرفت ما في الارض اليوم قال وما هو قال ان الروس في حرب مع اليابان ودخل حينئذٍ ملك الروس فقال رب انصر الروس واخذل اليابان فانها اعتدت علينا فدخل ملك اليابان وقال رباه اكسر الروس امامنا لانهم اشرار فدخل ملك فرنسا وقال الهي اخذل اليابان وانصر الروس لان اموالنا في روسيا فاذا سقطت بتنا بلا مال فدخل ملك الانكليز وقال مولاي اخذل الروس وانصر اليابان فانها حليفتنا واذا سقطت سقط مجدنا فدخل ملك الصين وقال يا رب اسحق الدولتين معاً لانهما طامعتان في بلادنا . فلما سمع المولى ذلك كله التفت الى بطرس وقال له اذا كان الامر كذلك فنحن نبقى «على الحياد» ....

(١) يعني بضرس سواه من يكون آلة لغيره يطحن بها ما يصير الى معدته وهي حالة الشرقيين

وقال

في المال والعلم والدين وذكر اهلها

هي الافلاك لاشم القباب … ولا كالفلك تجري في العباب
تدور بما تدور ونحن منها … مكان الظل من فوق التراب
ولو أن الورى كانوا عليها … لباتت كالسفينة في الضباب (٢)
يد الانسان آثمة ولو في … ذرى الافلاك من فوق السحاب
ولو أن الملائك عاشرته … لكنت ترى الحمامة كالغراب
ضعيف وهو اقوى من عليها … قويٌّ وهو اضعف من ذباب
وليس الناس اجساماً ترآءى … ولكن كل نصلٍ في قرابِ (٣)
تفاوتت النفوس فرب نفس … على فلك ونفس في ثيابِ (٤)
فلا عجب اذا الانسان امسى … لدى الانسان كالشيء العجاب
يعد الناس ضعف الناس ذنباً … لذا خلق القوي من العقاب
فذ والمال استبد بكل نفس … وذو العلم استخف وذو الكتاب
لدُنْ ركبوا سفين الدهر ظنوا … بني الدنيا متاعاً للركاب
وليس «المال» غير العين اما … غدت سود الحوادث كالنقاب

(٢) العباب البحر ومراد الشاعر من هذه الابيات ان الافلاك تجري على نظامها ما دام نوع الانسان بعيداً عنها فلو صاروا عليها ضلت لخبثهم فكانت مما يأتون من ذلك كالسفينة في الضباب لا تدري اين تذهب

(٣) الاجسام كالاغماد جعلت لتمسك السيوف ولا فائدة لغمد لا سيف فيه ولا في جسم لا نفس له وانما النفس بما يظهر عنها من الآثار

(٤) يريد ان من انفس الناس ما يرتقي الى الفلك وهو مدى الارتقاء ومنها ما لا يبرح ثياب صاحبه عجزاً وخسة

فلا يغتر بصير عند اعمى ... فما غير المصاب سوى المصاب
سلوا من ظن امر المال سهلاً ... أكان السهل الا بالصعاب
لعمرك انما الذهب المفدى ... نفوس لم تعد بعد الذهاب
هم اكتسبوا لغيرهم فامسى ... عليهم الاكتساب بالاكتئاب
وصيغ شبابهم ذهباً أليست ... على الدينار زخرفة الشباب (٥)
يمنون السعادة وهي منهم ... منال الماء في بحر السراب
وان خزانة الآمال ملاءى ... لمن تلقاه مهزول الجراب (٦)
ومن يغتر بالاقوى يجده ... كنصل السيف يغمد في الرقاب
متى صاح الدجاج بثعلبان ... فليس سواه من داعٍ مجابِ (٧)
يظن الاغنياء الفقر ضعفاً ... وكم من حيةٍ تحت الخراب
ولا يخشون ممن جاع بأساً ... وليس اضر من جوع الذئاب
الم تكن السفينة من حديد ... فما للماء يخرقها بناب
اذا شمخت على الامواج تعلو ... فما بعد العلو سوى انقلاب
اما «للعلم» سلطان على من ... يرى ان الفضائل في الخلاب

(٥) ما ينقضي عجب الناس من هذا البيت ولا ينقضي (الا اذا فضلوا على الدينار شيئاً آخر)

(٦) يقال الاماني راس مال المفاليس والخزانة بالكسر (ولا تفتح). ومن احسن الاجوبة ان اليوريني سئل عن الحب (بمعنى الحبيب) هل هو بالكسر او بالضم فقال هو بالكسر ويستحسن فيه (الضم) وعن الجفن اهو بالكسر او بالفتح فقال هو بالفتح ويستحسن فيه (الكسر) والزمخشري عن العثير (التراب) اهو بالفتح او بالكسر فقال هو بالكسر (ولا تفتح فيه العين) وابو السعود المفسر عن الخزانة والقصعة فقال (لا تفتح الخزانة وتكسر القصعة)

(٧) الثعلبان ذكر الثعالب وامر الثعلب مع الدجاج مشهور

وما ذو العلم بين الناس الا ... كمن كبح البهيمة لاحتلاب
يظل بها يمارسها شقياً ... وحالبها يتمتع بالوطاب (٨)
وكم بين الطروب وذي شجون ... اذا ابصرت كلاً في اضطراب
ارى العلماء اذ يشقون فينا ... نعيماً كامناً تحت العذاب
كقطعة سكر في كأس بن ... تذوب ليغتدي حلو الشراب
ومن اخذ العلوم بغير خلقٍ ... فقد وجد الجمال بغير سابي
وما معنى الخضاب وانت تدري ... بان العيب من تحت الخضاب
اذا الاخلاق بعد العلم ساءت ... فكل الجهل في «فصل وباب»
ولولا العلم لم تسكن نفوس ... على ثني الحياة الى الصواب
ولولا «الدين» كانت كل نفس ... كمثل الوحش تسكن للوثاب
رايت الدين والارواح فينا ... كما صحب الغريب اخا اغتراب
فلا روح بلا دين ومن ذا ... رأى راحاً تصب بلا حباب
ليجحد من يشاء فرب قشر ... يكون وراءه عجب اللباب
ولله المآب فكيف يعمى ... اخو الاسفار عن طرق المآب
وما ظمأي وفي جنبي نهر ... تدفق بين قلبي والحجاب

(٨) الخلاب الخداع وذو العلم يشقى ليسعد بعلمه الناس كالذي يكبح البهيمة ليحلبها من يشرب لبنها فانه يذوق المر وصاحبنا يكرع الحلو والعلم في اهله صفة لا يسمون علماء الا بها وهي الصبر على الشقاء وطلبه بانفسهم ومما احسن ما يروى عن الحسن البصري قال : اذا رأيت من هو اعلم مني فذاك يوم استفادتي واذا رايت من هو دوني فذاك يوم افادتي واذا رأيت من هو مثلي فذاك يوم مذاكرتي واذا لم ار احداً من هولاء فذاك يوم مصيبتي

وقال

ليتلوها تلميذ اتم الدراسة في بعض مدارس
الجمعية الخيرية الاسلامية

اری عقلي كساقية تُدارُ ... وانواع العلوم لها بحارُ
ولي فكرٌ كبستان نضيرٍ ... شهيٌّ معارفي فيه ثمارُ
تناولت العلوم وكان جهلي ... كمثل الليل فانشق النهارُ
ولاح ليَ الورى شيئاً عجيباً ... وكل فتى رأى عجباً يحارُ
فما الدنيا كما كنا نراها ... مُصغَّرةً ونحن اذاً صغارُ(١)
وان الجهل يستر كل حسن ... كنور الشمس يحجبه الغبار
ارى لي موقفاً حرجاً كأَني ... ضللت وليس في بحري منار
سأَفعل فعل اجدادي فامَّا ... كما نالوا واما حيث صاروا(٢)
وما انا بالصغير العقل حتى ... تعز على يدى الهمم الكبارُ
ولا انا بالضعيف القلب حتى ... تقيّدني المنازل والديارُ
ساضرب في البلاد فاي فجٍّ ... تنقاني فذلك لي قرارُ(٣)

---

(١) كل الدنيا عند الصغار البلد الذى يوجدون فيه وكل الناس في اعينهم اهلهم ومن يلعبون معهم وهم في سعادة بجهلهم لا يحلم بها الملوك فان زاوية الطريق التي يلعب فيها الطفل تقوم لديه مقام ملك الارض وكلما انفتق ذهنه زال عنه الغطاء حتى يصبح والعالم في نظره شيء جسيم والهم عنده بلاء مقيم

(٢) ليت هذه الكلمة تنقش في افئدة النشء المصري ولو باطراف السكاكين وقد قال الحسن البصري ان امرءًا ليس بينه و بين آدم اب حي لمعرق في الموتى

(٣) نظن والله اعلم ان هذا مجرد قول والا فالمصريون لا يضربون في البلاد

ولا عار على الساعي لمجد ... ولكن التزام الدار عارُ
وما قدر اللآلىء وهي درٌّ ... اذا لم ينفلق عنها المحارُ(٤)

وقال

وتلاها تلميذ صغير السن جدًا

عدت على اقوامنا النحوسُ
وضلّلتهم هذه الكؤسُ
فانقلبت في الارجل الرؤسُ
وخرب العقل بها والكيسُ
فكلهم بين الورى بئيسُ
النصح يا قومي هو النفيسُ
والغي تعمى عنده النفوسُ
فبصّروها فالهدى مطموسُ
وقد ضربنا مثلاً فقيسوا (٥)

الا اذا تحركت الاهرام قبلهم وأوغلت في مهامه افريقيا اما ما دامت فهم اثبت منها في (ارض اجدادهم) لا يبرحون البيوت الا الى القبور ولا القبور الا الى الموقف ولا الموقف الا الى حيث يكون الخلود . . .

(٤) المحار ما يستكن فيه اللؤلؤ ولا قدر للدر الا اذا خرج من صدفه ولكنه ما دام فيه فالدرة والبعرة سواء

(٥) ضرب لهم المثل بالخمر التي سمعنا الشاعر يقول عنها : « ان المصر يين صيروا ذهبهم فسال خمرًا » يريد ان كل من عنده ذهب منهم يبذله فيها . وترك لهم الطفل امر القياس . . . وهنا موضع العجب

وقال

في علماء يتفقون الناس ويؤدى بهم العلم الى الجحود والعياذ بالله

مشى الجهال في طينٍ ولكن … أكفهم على حجرٍ صلودِ

كما يمشي الجبان وعن يديه … صفوف الحارسين من الجنودِ(٦)

وكم في العالمين أخي ذكاء … يجر به الذكاء الى الجحودِ

ارى للعقل حداً في التسامي … كرمي الباصرات الى حدودِ

وان السيف ان لم يلف غمداً … كساه من الصدا اشبه الغمودِ(٧)

وكل تطرف العلماء جهل … وبعض الجهل بالعلماء يودي

اذا انحرف «القطار» براكبيه … فقد وجدوا «المحطة» في اللحودِ

وسيان البصير وكل اعمى … اذا نظرا الى شيء بعيدِ(٨)

وهذه شذرات من الحكمة الحقناها بهذا الباب

(قال يعني نفسه)

تعلق القلب بآماله … ومن يؤمل قلبه يعلقِ

(٦) انما يخاف على من يمشي في الطين ان يزلق وما دامت يده على حجر صلد فقد أمن ذلك كما يذهب الفزع عن الجبان بقوة الحارسين

(٧) المعنى ان لكل شيء حداً واذا ترك تلف وقد قيل كل ما جاوز حده جاور ضده ·

(٨) البصير اذا نظر الى شيء بعيد عن مرمى نظره لا يراه فهو والاعمى من هذه الوجهة سواء وكذلك العالم اذا اراد ان يخرج بعقله الى ما وراء الغيب فلا فرق بينه وبين الجاهل في شيء · وقد قال بعض كبار الكتاب العلماء عندما قراء هذا البيت « اشهد ان المعري لم يقل احسن منه في زمنه »

يانفس بعضَ اليأس لا تقنطي من رحمة الله ولا تحنقي

ان كان ما مرّ من العمر لم … يحقق الظن فنيما بقي

والناس في الدنيا دلاء فذا … يهوى الى اقاع وذا يرتقي(٩)

وقال

في مثله

لا اعذل الدهر على … ما افسدت لي يدُهُ

يسوُّني اليوم لكي … يعرف قدري غدُهُ

كالذهب الابريز من … ينقدهُ يبردُهُ (١)

وقال

لا تغترر بالناس فيما ترى … فهم مع الفاتح في كل باب

رأيتهم يُعلون قدر الفتى … للسحب كي يستمطروه سحاب(٢)

وما اعتلى الميت من عزةٍ … اعناق من يرمونه في التراب

(٩) الدلاء جمع دلو · وبعض الياس منصوب بفعل محذوف اي ايأسي بعض الياس ونحوه · وفي هذه القطعة يبين لك معنى الابتكار فان كلّ امرئ يرى الدلاء في الابار تصعد وتنزل ولكن لم تسمع قط ان شاعراً جاء بهذا المعنى (وسنسمع بعد اليوم على ما هي عادة القوم

(١) الذهب الابريز الخالص وعادة الصيّاغ اذا اراد امتحان الذهب برد قطعة منه فلا يعرف قدره الا بعدان يؤذيه بما يخدش منه

(٢) سحاب في الاصل منصوب وانما سكن للقافيه ومثله شائع في كلام العرب والمراد انهم يتملقون الرجل فيقولون انه سحاب ليمطرهم بنداه

وقال

ان الانام وحوش   وانما الاسم ناسُ
تخاتل وزحام   وقسوة ومراس
فاخش الضعيف وان لا   ن كم من الضعف باسُ
والماء ألين شيءٍ   لكنه لا يداس

وقال

في النفس الامّارة بالسوء

اقلُّ الاعادي اذًى   لك الصاحب الاعوجُ (٣)
وللمرء بين الأنا   م مُتسعٌ يفرجُ
ومن يَغْنَ عن غيره   فما غيره الأحوجُ
واعدى اعادي الورى   نفوسٌ بها أُحرجوا
وذا عالَمٌ مظلم   يحارُ به المدلجُ (٤)
فيا من سعى للدنا   وأكفانه تنسجُ
طبخت ولكنما   طعامك لا ينضجُ
حياتك كالطيب لا   يدوم متى يأْرجُ (٥)
وكم نَفَس في الهوا   بنفْس الفتى يخرجُ

(٣) ليس اشد اذى للمرء من الصاحب الاعوج فما يستقيم امر صاحبه قط وهو مع ذلك اخف بلية على الانسان من نفسه

(٤) المدلج الساري ليلا والعالم ظلمات يتخبط فيها الاحياء بين فتنة واخرى من النفس والناس

(٥) الدنا الدنيا وحياة المرء كالطيب كلما أرج اي فاحت رائحة فني لان ارجه من المادة الذاهبة منه في الهواء وقد قيل ان حبة المسك تبقى سنتين لا تنقطع رائحتها من الموضع الذي تكون فيه ولا ينقص من وزنها مع ذلك شيء ومثلها بعض الناس الذين يتطاول عليهم الامد ومصير الكل الى الفناء

وقال

يا طالب العليا احترس   ان تصطفي عذالها
ان الامور رجالها   فاطلب لذلك رجالها
والزم مهم فلطالما   وقت اليمين شمالها
واجعل لنفسك غاية   تهب النفوس كمالها (٦)
وأمت امورك في الفؤا   د فموتها احيى لها
واخش الدسائس من عدا   تك واحذرنّ فعالها
تجد القنابل كالحجا   ر وقد ترى اهمالها
والماء يطفي النار لكن   لا يطيق خيالها (٧)

وقال

في تخير الاصحاب

لا ترق مدرجة الصعو   د لاجل مهواة الهبوط

(٦) ان من لا يسعى الى غاية لا يصل الى شيء والعمر اضيق من ان يبذر منه فمن لم تكن له غاية يطلبها من هذه الحياة

فذاك الذي ان عاش لا يعتنى به   وان مات لم تحزن عليه اقاربه

(٧) ان مكيدة العدو ان يظهر بمظهر من لا يضر كالقنبلة تراها في شكل الحجر ولكنها اذا اطلقت من موضعها فعلت الافاعيل ولا يستخف بالضعيف الا ضعيف الرأي فان القبرة اعمت الفيل وردته في هاوية فهلك والبعوضة ادمت عين الاسد والماء يقوى على النار فيطفئها ولكن اشعتها تنزل في قلبه كالسهام وتظهر فيه ولا يستطيع ردها . ولا بأس من ذكر فائدة يتعلم منها (هؤلاء الشعراء) . كان سبب نظم هذه القطعة ان الشاعر مر وبعض اصحابه بنهر تنعكس عليه اشعة المصابيح المنارة على جانبيه فقال له صاحبه شبه هذا! فنظم البيت الاخير على البديهه ثم بنى عليه القطعة . والموضوع لا يخرج منه ذلك ولكن شرط الشاعر كما ترى في المقدمة (الانتباه الى ادق المناسبات)

واجعل علاك عليك شر طاً حين تؤخذ بالشروط
واستفد من خزر الصحا ب فكم لآلٍ في السموط
ان السفينة كلما صغرت تراها في الشطوط
والعنكبوت اذا بنت بيتاً فاهون بالخيوط (٨)

وقال

في التوفيق والجد

لغيري الدهر سلمٌ وعندي الدهر حربُ
وقد عييت بسعيي ان السوابق تكبو
وكل نار اذا لم تصادف الريح تخبو
وكل عضب اذا لم يقع على اللين ينبو
وكل سهل اذا لم يوفق الله صعبُ
هذا شراعي ولكن من لي بريح تهبُّ

وقال في مثله

يا من سعى لغناه وعاد بعد فقيرا
ان لم يكن لك حظ كان اليسير عسيرا
أنى تطاول من طا ل ان خلقت قصيرا
نصبت فخك لكن سواك صاد الطيورا

وقال

كففت يدي عن الشر واصغيت له اذني
لاعلم ان نبذت فتى سفيهاً كيف ينبذني
فلا بالمكر آخذه ولا بالمكر يأخذني

(٨) العنكبوت تبنى بيتها لتتقي به ولكن النسيم الخفيف يحملها وما بنت وانما الصاحب للصاحب يد لا تنفعه اذا كانت شلاء وكلما صغرت النفس نزلت الى معاشرة السفلة كالسفينة التي ضربها مثلا ولا حاجة بنا ان نبين مبتكرات الشاعر عند كل موضع فانها ظاهرة للعاقلين

وقال

تعلم من الختل ما تتقي به كيد كل فتى خاتلِ
وخذ لمشيبك مكر الشباب ومن حادث العام للقابلِ (١)
وان كان كل الورى في جنون فما انت وحدك بالعاقلِ
فكن عالماً جاهلاً بينهم فهم خدم العالم الجاهلِ (٢)

وقال في اختبار الاصحاب

اصبح كلٌّ منظرا فاترك له منظرَهْ
واغضب الصاحب ان اردت ان تخبُرَهْ
فكل ماء كدر من هاجه عكَّرَهْ

وقال

(في حديث جرى بينه و بين بعض اصحابه في ساعة هم)

قد اتعب الهم قلبي وشرَّد الحزن نومي
وسامني عنتَ الدهـ ر بعض ما سام قومي
وقد ارى العيش لكن الى لقا الله صومي
يخيفني الناس بالمو ت ما على الناس لومي
وكيف يخشى المنايا من مات في كل يومِ

وقال

نشأت ولست اعرف لي عدوا وها انا لست اعرف من معيني

(١) قيل احمق ما يكون الشيخ اذا عمل بظنه . وقد اصبح الشيب عند شبان اليوم موضعاً للنكات ولا حول ولا قوة الا بالله . ومن الاجوبة المسكتة ما حكى بعض الاصحاب قال : رايت عبداً اسود شاباً وقد نظر الى شيخ كأن لحيته اثمر بياضا فقال لمن معه ما اقبح هذه اللحية وهي كالعين البيضاء من العمى فقال الشيخ على الفور « والعمى خير من رؤية وجهك الاسود » فافحمه

(٢) من العلم ما يضر في بعض مواطن الجهل فسياسة الناس ان تعرف ما ينبغي مما لا ينبغي

كأن الناس ليس لهم قلوبٌ　　تحركهن انفاسُ الحزينِ
اذا ما أبصروا ذا الهم فروا　　فرار الروح من وجه المنونِ
واكثر من تصاحبهم ديونٌ　　ويا ويل الفقير من الديونِ
دع الدنيا ترفع كل وغدٍ　　فان الخمر قد سُدت بطينِ (٣)

﴿ وقال ﴾

دعوني ان سرى اليو　　م اني ليس لي سرُّ
وما يعجب من امري　　سوى ان ليس لي امرُ
فعُوا ما قرأت عيني　　فان كتابها الصدرُ
لقد عُلمت امر النا　　س مذ علمني الدهرُ
وعندي ان جهل الشر　　في الناس هو الشرُّ
وترك الفكر فيما تش　　تهي النفس هو النكرُ
حلا الموت لمن لم يد　　رِ أنْ مذاقه مرُّ

﴿ وقال ﴾

لقد انحل الهم جسمي فهل　　لذا الجسم من همه مخرجْ
ولم تك تسقمني الحادثات　　ولا كنت قبل بها أزعجُ
اذا طبخ الدهر جسم أمرىء　　بنار سوى الهم لا ينضجُ

﴿ وقال ﴾

قالوا جنونٌ قلت إي والذي　　يقدر الهم لمن يعقلونْ
انقلب الدهر بابنائه　　لذا ترى العقل غدا في البطونْ
جنوننا ما دام في رأسنا　　عقل وهم من عقلهم في جنونْ
وما على الناس من الناس يا　　ليت اذا لم يعرفوا يعرفونْ

---

(٣) يختم دن الخمر بالطين اذا تركت فيه لتختمر فيعلوها وهي اكرم جوهرا وكذلك شأن الزمن في الاغبياء

﴿ وقال ﴾

(في احتفال الناس باْمواتهم في مواسمهم المعروفة بمصر)

يعزى الناس بعضهم　　ولا يجديهم شيأً
فذاك طُوي وهذا سو　　ف يطويه الردى طيأً
يمينَ الله لو عقلوا　　لعزَّى الميت الحيَّا

الباب الثاني

في النسائيات

ربة الحسن والقلم

مدادك في ثغر الزمان رضابُ	وخطك في كلتا يديه خضابُ
وكفك مثل البدر قد لاح نصفه	فلا بدع في أن اليراع شهاب
كلحظك او امضى وان كان آسياً	جراح اللواتي ما لهن قراب
يمج كمثل الشهد مجته نحلة	وان لم يكن فيما يمج شراب
ويكتب ما يحكي العيون ملاحةً	وما السحر الا مقلة و كتاب
فدونك عيني فاستمدي سوادها	وهذا فؤادٌ طاهر وشباب (١)
ارى الكف من فوق اليراع حمامةً	وتحت جناحيها يطير غراب
كأن اديم الليل طرس كتبته	وفيه تباشير الصباح عتاب
كأن جبين الفجر كان صحيفة	كأن سطور الخط فيه ضباب
كأن وميض البرق معنىً قدحته	كأن التماع الأفق منه صواب
كأنك اما تنظري في كتابةٍ	ذكاءٌ واوراق الكتاب سحاب

(١) استمد اخذ من المداد والفؤاد في سويدائه والشباب والمداد لون واحد

اراك ترجين الذي لست اهله	وما كل علم إبرة وثياب (٢)
كفى الزهر ما تندى به راحة الصبا	وهل للندى بين السيول حساب
وما احمق الشاة استغرت بظلفها	اذا حسبت أن الشياه ذئابُ
فحسبك نبلا قالة الناس انجبت	وحسبك فخراً ان يدونك باب (٣)
لك القلب من زوجٍ وولدٍ ووالد	وملك جميع العالمين رقاب
ولم تخلقي الا نعيما لبائس	فمن ذا رأى ان النعيم عذاب
دعي عنك قوماً زاحمتهم نساؤهم	فكانوا كما حف الشراب ذباب
تساووا فهذا بينهم مثل هذه	وشتّان معنىً يافع وكعاب
وما عجبي ان النساء ترجلت	ولكنّ تأنيث الرجال عجاب (٤)

(٢) قال الدكتور (تيلبر) احد مشاهير الاطباء في الولايات المتحدة والطبيب الخاص لمدرسة (فاسال) المخصوصة بتعليم الجنس اللطيف : انه لم يجد بين الف فتاة تعلمن العلوم العالية كما يجب اكثر من عشرين لم يخسرن صحتهن وان كثيرات منهن لا يعدن صالحات للولادة وباقيهن لا يلدن اكثر من اثنين الى ثلاثة وبعضهن يكن سبباً للشقاق في العائلات لانهن يصبحن ذوات آراء لا يتنازلن عنها ولا يسلم بها ازواجهن وان العلم يجعلهن متكبرات غير مستعدات للخضوع اه ومعلوم ان التي تتعلم هذه العلوم لا يكون زوجها في الغالب الا من الاغنياء الذين يرون لذة الحياة كلها في الولد وكثرة النسل فليعلم الفقراء ان للاغنياء في بيوتهم مصائب على قدر غناهم . وقد قال الامبراطور غليوم لابنته : انك وان كنت بنت امبراطور لا تزالين امراة وان انفع شيء لك ان تعرفي اعمال المطبخ «وترقيع» الاجربة جيداً . وهي كلمة كبيرة من رجل كبير .

(٣) القالة والمقالة بمعنى . والظلف للشاة كالحافر للفرس .

(٤) نذكر هنا رأي شاعرنا في تعليم النساء . فانه يرى ان المراة خلقت على غير تركيب الرجل في اكثر اجزائها فلا يصلح لها الا ما يناسبها وهو يقول انه لا يناسبها شيءٌ من العلوم قط الا ما كان عليه حرف من احرف هذه الكلمة (البيت) . اما اذا خرجت عن معنى المرأة (في نظر الناس) فلها ما تشاء

بنت الزي

أو حسناء «الموضه»

ما بال هذا الجسم يافتنتي … من سرق الديباج في حبس

وبعضه في كفن واسع … وبعضه في ضيقة الرمس

لكل شيء حسن زينة … وزينة الخمرة في كأس

والبدر في ديباجة يجتلي … وانت في عشر وفي خمس

شريعة تنسخ في يومها … كل الذي قد شرعت امس (٥)

ولو تزيد الحسن اثوابه … لبان نقص الحسن في الشمس

اهانت الغادات اهل الهوى … وهنّ قدهنّ على نفسي (٦)

فاين القوم واذيالها … «مصلحة» للرش والكنس (٧)

الحسناء والمرآة

بدت قمراً له حظي ليالي … وجسمي في هواها كالهلال

ولاحت في المراة فقل سماء … تولتها الملائك بالصقال

(٥) اصبحت هذه الكلمة المشؤمة التي تسمى (الموضة) سبباً لخراب البيوت والابدان وقد بلغ من تفنن نساء باريس ان الرجل يبتاع لامراته شيئاً مما تلبسه ثم يعدو الى البيت خائفاً انه اذا ابطأ في مشيته فربما لا يصل حتى تكون قد نسخت هذه (الموضة) بغيرها ويرى شاعرنا ان مثل هذا التبرج لا يكون في امراة طاهرة القلب قط

(٦) هن الاولى ضمير والثانية فعل مسند الى نون النسوة .

(٧) لو شئنا ان نشير الى مبتكرات المعاني في كل مواضعها من هذا الجزء لما خلت صحيفة من ذلك وخفنا ملل القراء ولكنا نريد على كل حال ان يتعلم ادباؤنا كيف يكون الابتكار لعل الشعر يطهر ولو من الحدث الاصغر . . . .

ترقرق حسنها فيها فمالت … وفي الطاووس طبع الاختيال

وكانت كالغصون اصبن نهراً … فداخلن الظلال على الزلال

وكنت لها بواحدة قتيلاً … فكيف بها اثنتين على قتالي (٨)

دعوها تدر منها ما درينا … وتنظر مانظرنا من جمال

فما مرآتها الا كتاب … يعد لها جنايات الدلال (١)

وما اتهمت محاسنها ولكن … يكون نتيجة مرح الغزال

نساها صدّقت ما اخبروها … بان الطيف يسمح بالوصال

فلازمت المراة كما اراها … تحاول ان تظفّر بالخيال (٢)

وللحسناء امال وماذا … يؤمل في (السما) غير المحال (٣)

فيا مرآتها وصفاء قلبي … وعصر طفولتي وخلوّ بالي (٤)

ويا حظي وحاجبها ودهري … وطرتها وعينيها وحالي

تقلبت الليالي بي ولما … يرعني ان تقلبت الليالي

كاني صرت مرآة لدهري … يرى فيها محاسنه البوالي

(٨) يعنيها وخيالها بالاثنتين لان الحسن هناك صورتان

(١) لو تدبرت وهذه هي العلة التي ذهبت بارواح العاشقين فلو ان الجميل يعشق نفسه كما يعشقه غيره لرحم غيره كما يرحم نفسه

(٢) يريد انها علمت بان الطيف يزور عاشقها وحسنها يأبى الا ان يتمنع فهي تقف امام المرآة كثيراً لترى هذا (الخيال) الذي يزور عاشقها فتقبض عليه ليتم بذلك عذاب المسكين والمعنى انه لا عيب عليها في ملازمة المرآة فانظر كيف اصبح الكلام سحراً

(٣) المرآة تشبه في صفائها السماء ومن يؤمل شيئاً في (السماء) يؤمل المحال فكذلك يكون قبض الحسناء على خيالها محالا ايضاً

(٤) كلها نظائر بيضاء وما بعدها في البيت الثاني نظائر سوداء

فلم ينظر جبيني قط الا   تنفس فيه بالهم العضال (٥)

فديتك ساعة المرآة طولي   امدك من ليالي الطوال

فما احلى اذا وقفت اليها   تبالي بالجمال ولا تبالي (٦)

و بانت في الحليّ طريق سبق   لتستبق اليمين مع الشمال

واعيى كفها الشعر اختلافاً   كما تعيي الهداية بالضلال

ولاحت في لواحظها سماة   كما تجري المنية في النصال

فلو نطقت لنا المرآة عنها   اذاً قالت تبارك ذو الجلال (٧)

حلي النساء (٨)

رأت الملاح على السماء كواكباً   فجعلنها فوق الصدور عقودا

ورأين نور الشمس يضحك في الضحى   فلبسن منه اوجهاً وخدودا

ورأينهـا تبدو وتغرب لاتني   فجعلن ذاك تواصلاً وصدودا

إني لطب بالنساء وقـد رأيـ   ـت لهن قلباً لا يزال حسودا (٩)

---

(٥) المعنى كأن دهره ذهبت محاسنه (وانما محاسن الدهر اهله) وهو مرآة هذا الدهر فكلما نظر في جبينه تفجع على حسنه الزائل فتتنفس نَفَسَةَ الهم فكانت في جبينه تجعدا وهو انما يكون من الهموم والافكار

(٦) هذه الكلمة من الكلام الجامع فكل ما تفعله الحسناء وما لا تفعله يقال فيه (تبالى بالجمال ولا تبالى)

(٧) تبارك الله احسن الخالقين يوءتى الحكمة من يشاء

(٨) كان لعلي بن الجهم جارية بارعة الادب ولها كلمات مأثورة فكانت تكره الحلي و تقول (تستر المحاسن كما تغطى القبائح)

(٩) الطب بالفتح الحاذق الماهر

فلوانهن رأين عودا قد تحلّـى بالثمار حسدن ذاك العودا (١٠)

واذا غضبن جعلن اسباب التوا   صل اصبعاً او معصماً او جيدا

وقلوبهن على الحلي كذى الليا   لي ان عدمن البدر كانت سودا

ان النساء خلائق ان فتنها   فهي الأسارى والحليّ قيودا

المرأة المصرية

اتى عليك وان لم تشعري الامد   وانت انت مضى امس وحل غدُ

فهبك عيناً فما في الناس ذو نظر   الا و يوءلمه في عينه الرمدُ

وهبك قلباً فما في الخلق من رجل   الا و يوجعه في قلبه الكمدُ

وهبك من كبد في جنب صاحبها   اليس يحمل ما تغلي به الكبد (١١)

عجبت لامرأة هانت وما اعتبرت   ومن رجال اهانوها وما رشدوا

كلاهما رجل في الناس وامرأةٌ   ولا مميزَ الا ذلك الجسدُ

---

(١٠) نذكر هنا بعض النساء اللواتي يثمرن حلياً . فلقرينة مستر « استور » من الجواهر ما يزيد ثمنه على ١٥٠ الف جنيه ولها عقد لوءلوء ثمنه ٢٤ الف جنيه ولزوجة مستر (جورج غولد) عقد الماس ثمنه ٢٧ الف جنيه ولزوجة مستر (ستوان) عقد الماس ولوءلوء ثمنه ٣٤ الف جنيه ولزوجة مستر (برادلى) عقد لوءلوء ثمنه ٦٨ الف جنيه ويحيط به من الاحجار الكريمة ما يبلغ ثمنه وحده ٨٠ الف جنيه وكلهن في اميريكا وليس هذا بشيء في جنب تاج الملكة فيكتوريا فان فيه حجر الماس كبيرا لا يوجد مثله في الارض واسمه (قوه نور) اي جبل النور وكان حلية لتاج الراجا (رادنجات سنك) صاحب مملكة لاهور ويقال ان من اجله حدثت حرب الانجليز معه في سنة ١٧٤٩ وزنته ١٦٢ درهماً وفي التاج غيره ٢٧٨٣ حجراً من الالماس غير الجواهر التي منها ياقوتة كبيرة كانت لهنري الخامس ولا يوجد في تيجان الملوك مثلها وكذلك زمردة كبيرة لا تقوم بثمن

(١١) المرأة عين زوجها وقلبه وكبده ولكن الجهل فيها كالرمد والكمد والمصاب الذي تغلي به الكبد

وكل ما حولهم في الذل مثلهمُ … يُستعبد الكل حتى النهر والبلد
يا بنت مصر ولا قوم تعز بهم … ولا بلادٌ ولا اهلٌ ولا ولدُ
زاغت عيون بني مصر وضل بها … غيُّ النفوس وهذا الجهل والفند
فانت في نظر الراقين سائمةٌ … وفي نواظر فلاحيهم وتد (١)
وانت بينهمُ في كل منزلةٍ … صفر اليسار به يستكمل العدد (٢)
اقام في راسك الجهل الذي سلفت … به الليالي وفي اضلاعك الحسد
وما يحلان بيتاً كان في رغدٍ … الا وهاجر منه ذلك الرغدُ
(فالسحر والزار والاسياد) جماتها … لأَهلها نكدُ ماماثله نكد (٣)
ما انت في الصين والاوثان قائمةٌ … وللشياطين في كل الامور يد (٤)
تالله لو كان من علم وتربيةٍ … شيءٌ يمازجه ذا الصبر والجلدُ
اذاً لما سخرت من بنت جمعتها … من يومها السبت اومن يومها الاحد (٥)

(١) السائمة البهيمة التي ترعى وكذلك المرأَة المصرية في نظر الشبان المتعلمين اليوم ولعمر الله انهم لاحق بانوثتها منها

(٢) الصفر الذي يوضع الى جهة اليسار لا يعمل شيئاً ولكنه يكمل منازل العدد بحلوله في المنزلة الخالية

(٣) يريد (بالاسياد) امور المخرقين ممن يا كاون من وراء الجن والشياطين ومصيبة المصائب هي بدعة الزار وسيرى القراء شرحها في الجزء الثالث انشاء الله لان قصر المدة منع من ذلك في هذا الجزء

(٤) لا يعمل عمل في الصين الا بعد ان يشير به المنجم وهم يعتقدون ذلك اعتقاداً يخالط اللحم والدم ولهم نوادر عجيبة تدل على سخافة عريقة

(٥) هذا من بديع الكناية فان بنت الجمعة هي المسلمة وبنت السبت اليهودية وبنت الاحد الافرنجية وصبر المصريات وجلدهن ليس بعدهما صبرٌ ولا جَلَد حتى كأنهن مخلوقات من (الرمل والسمنت)

فهل ارى رجلاً فينا او امرأة … بعد الخمود وطول الذل يتقدُ
يا قوم لو نام ليث الغاب نومكمُ … لاستنكف الفار ان قالوا له اسد

الرجل عندنا والمرأة عندهم

لأمرٍ فيه يرتفع السحاب … ولا يسمو الى الافق التراب
وما استوت النفوس بشكل جسم … وهل ينبيك بالسيف القرابُ
وما سيان في طمع وحرصٍ … اذا ما الكلب اشبهه الذئاب (٦)
رأيت الناس كالاجساد تعلو … لعزتها على القدمِ الرقابُ
فليس من العجيب سمو انثى … على رجل (ترجله) الثيابُ
ولو نفساهما بدتا لعيني … لما ميزتُ ايهما الكعابُ
وان لباطن الاشياء سراً … به قد اعجز الاسد الذبابُ
فيا لرجال قومي من شموسٍ … اذا قرنوا بها انقشع الضبابُ
نساء غير ان لهن نفساً … اذا همت تسهلت الصعابُ
فان تلقِ البحار تكن سفيناً … وان تردِ السما فهي الشهاب (٧)
ضعاف غير ان لهن رأياً … يسدده الى القصد الصوابُ
وما من شيمة الا وفيها … لهن يدٌ محامدها خضابُ
وقومي مثل ما ادري وتدري … فهم لسؤال شاعرهم جواب

(٦) بلغ من حرص الذئب على ما يقال انه ينام مغمضاً احدى عينيه وناظراً بالاخرى حذراً على نفسه وترقباً لما يساق اليه

(٧) اذا كانت الامور التي تريدها كالبحار انقلبت سفينة وان كانت كالسماء دارت فيها كا شهاب وكل ذلك على المجاز

رجال غير ان لهم وجوهاً   احق بها لعمرهمُ النقابُ
غطارفةٌ اذا انتسبوا ولكن   اذا عدوا تدعلك الانتساب(٨)
جدودهم لهم في الناس مجدٌ   وهم لجدودهم في الناس عاب
ومن يقل الغراب ابن القماري   يكذبه اذا نعبَ الغرابُ (٩)
عجيبٌ والعجائب بعدُ شتّى   بأنا في الورى شيء عجاب
تقدمنا النسا ونفوس قومي   من اللائي عليهن الحجاب
وما غير النفوس هي البرايا   وانثاها او الرجل الاهاب(١٠)

حكم الهوى

ابى الجهل الا ان يكون نساؤنا   رجال سوانا والرجال نساء
فتلك نساء الغرب ساوين غيرةً   وُفقنَ رجال المشرق الجهلاء
وكل نساء الشرق ساوين في الرضا   بذاك رجال المغرب العلماء
وآية ذل النفس ان يحكم الهوى   وقد اصبح الشرقان فيه سواء

الشرقية والغربية

للحسان الدلال والخيلاء   ولك الامر بعد يا حسناء
فاطلعي كيف شئت بدراً اوشمساً   وصباحاً ما دام فينا الضياء

(٨) تدعلك صار صعلوكا ونسب المصريين الى اجدادهم الاولين نسب فخم ولكنهم اذا نظروا الى انفسهم راوا من النار ترابا

(٩) القمارى جمع قمرى وهو طائر حسن الصوت يقال للذكر منه ساق حر ومن العجيب على ما قيل ان بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القمارى
(١٠) الاهاب الجلد وهو الممتاز بالذكورة والانوثة

كل بدر له سماءٌ ولا يعـ   ـرف للحسن كالبيوت سماءٌ(١)
لا تغرنْك من ترين من العجـ   ـم فما الشرق والشمال سواءٌ
كل بيتٍ له قطين وان كا   ن تساوى في كلهن البناءٌ
هي في قومها وانت لدى قو   مك والنفس بعدها اهواءٌ
ان ظرف اللسان في لغة الاهـ   ـل وعنوان قومهن النساءٌ (٢)
واذا الامهات احببن شيئاً   ورثت حبها له الابناءٌ
واذا ما الفتاة شبت على اللهـ   ـو فباللهو بعد ذاك تساءٌ
انما البنت زوجة ثم امٌ   ثم يبقى الحديث كيف تشاءٌ
وهي كالماء كلما قطروه   زاد حسناً ورق بعدُ الماءٌ(٣)
لست ادري وليتني كنت ادري   نحن بين الاموات ام احياءٌ
اي هذين في الرجال اهن الا   مهات النسا ام الآباء (٤)
صورة الغرب والنفوس من الشر   ق فهم في ديارهم غرباءٌ
اين حق البلاد اين ذكاء ا   لقلب اين النفوس اين الدماءٌ

(١) نذكر هنا راي الشاعر في الحجاب فهو يقول « اخرجوا القلوب من الصدور ثم ارفعوا الحجاب » ويقول ان كل ادلة اعداء الحجاب التي يحتجون بها باطل في باطل وضلال في ضلال .
(٢) يخبط الناس كثيراً فيما يعبرون به عن حسن الاعضاء وانما يقال :الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والحلاوة في الانف والملاحة في الفم والظرف في اللسان واللباقة في الشمائل
(٣) يريد بذلك تعليمها ما يناسبها كما ان الماء لا يقطر بوضع ما لا يناسب المراد منه
(٤) قد يقال ان لفظة (النساء) هنا لغو لان الامهات لا يكن الا نساء ولكنه لما كان في معرض دهشة ومقام استغراب حيث قال « اي هذين في الرجال » ثم جعل احدهما الامهات اضطر الى توكيد قوله فذكر لفظة النساء ومثله قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد »

انما ضيّع البلاد واهليـ ـها قديماً نساؤنا الضعفاء (٥)

خير النساء

رأيت نساء الزمان كثارًا وحسبك واحدةٌ في الزمانْ

فان رمتها فالتمس وصفها فقد ميزت بصفاتٍ ثمانْ

بوجه الجمال ورأس الذكاء وعين العفاف وصدق اللسان

وقلب المحب وصدر الصبور ونفس الكمال ودمّ الحنانْ

وتلك هي السعد من نالها فقد صار من بيته في الجنان

ومن لم يكن حسنها هكذا فسخرية عدها في الحسان (٦)

وقال

ياقوم لم تخلق بنات الورى للدرس والطرس وقال وقيلْ

لنا علومٌ ولها غيرها فعلموها كيف «نشر الغسيل»

والثوب والابرة في كفها طرس عليه كل خط جميلْ

(٥) انما الولد على ما تنشؤه امه ومما قيل : ان بعض الضباط في دولة من دول اوروبا قتل في حرب وكانت زوجة حاملا فوضعت ذكرًا فاخذت تحدثه عن ابيه من يوم فقه الحديث وتغرس في نفسه حب الدفاع عن وطنه الذي قتل من اجله ابوه وارته سيفه فكان ذات ليلة نائما فسمع الرعد وتلاه وميض البرق فنهض فزعاً وهو لا يزال طفلاً وقال اماه : علي بالسيف فقدها جئنا الاعداء . . وهكذا تكون التربية

(٦) يجمع هذه الصفات لفظة امرأة قال لها شعيب وقد اراد ان يتزوج بها انني سيئ الخلق فقالت اسوأ منك خلقاً من احوجك ان تكون سيئه . تريد من لم تقم بارضائه حتى لا يجد موضعاً يسيئ فيه خلقه

الرجل والمرأة (٧)

الارض للناس بحرٌ والمرءُ فيها سفينهْ

والمرأة النار والريـ ـح شدة ثم لينهْ

والعمر نهر ترى من حوادث الدهر طينهْ

وشاطئاه قرينٌ قد قابلته قرينه

ولم تزل علم اللـ ـه مرأة المرء دونه

هذا تشاد به الدا رُ وهي للدار زينه (٨)

وقال

فيمن يسلمن اولادهن للمراضع والخدم

يداك ابر بهذا السوار فان صار في يداخرى انفصم

وصدرك اولى بمن هو منه فؤادًا ونفساً ولحماً ودمْ

ومن فيك تبعث فيه الحياة ويسقمه غيره كل فمْ

وما الطفل الا زيادة بطن لجد وابٍ وخال وعمْ

فان تعط طفلك للخادمين فمازدت الاعديدا لخدم (٩)

(٧) في خرافات اليونان : ان نوحا ويسمونه (ديكليون) كان بعد الطوفان اذا رمى الارض بحجر صار رجلاً وكلما رمت زوجته بحصاة صارت امرأه ولا جرم ان الفرق بين الرجل والمرأة كالفرق بين الحجر والحصاة . وقد عمل بعض العلماء في سنة ١٩٠١ احصاء للجنس البشري فوجد ان النساء تزيد تسعة في كل مائة عن الرجال

(٨) ليس يريد من زينة الدار ان تكون المرأة متاعاً ولهوًا بل يريد ان تكون زينة بيتها بمعنى ما هو بيت

(٩) كان ابو امام الحرمين رضي الله عنهما قد اوصى امرأته ان لا ترضع ابنها من غير لبنها فدخل عليها ذات مرة فاذا به يرى ابنه في حجر جارية سوداء وهي ترضعه فكأن

وقال

فيمن يستعملن الدهان والطلاء تطرية وتحسيناً

دعي عنك الطلاء فليس حسناً ... واسي حقيقة كانت مجازا
ومن ذا غره التحسين اني ... رايت الشمس لا تحتاج غازا

وقال

والبيت الاول معرب معنى فرنسوي

أُجث خضوعاً واحتراماً لمن ... امك في حواء من امها (١٠)
الا ترى الجنة فيما رووا ... مطلوبة من تحت اقدامها

الارض رجنت به فوضع اصبعه في فم الطفل حتى تقايأ كل ما رضع فكان الامام بعد ذلك اذا غضب قال هذا من بقية تلك الرضعة

(١٠) اصل المعنى المعرب « أُجث باحترام تحت قدمي الجنس الذي منه امك »

الباب الثالث

في الوصف

التاز (١)

بنوه على تلك اللحاظ الفواتكِ ... وصاغوه من نور الثغور الضواحكِ
ومنذُ طووا فيه شبابك لم يزل ... تلوح عليه مسحة من شبابكِ
بناه لك الباني فلم يلبث الموى ... أَن اقتاده حتى ثوى في جواركِ
سليه أَهذا قلبه صار مدفناً ... وقبركِ في السوداء أَم غير ذلكِ
وتلك لآلٍ أم امانيُّ نفسه ... وذاك ظلام ام هموم الممالكِ
سليه فلو هشت عظامكِ نحوه ... لرُدت اليه روحه من سؤالكِ

---

(١) هو بناء من اعظم مباني الدنيا اقامه السلطان شاه جهان مدفناً لزوجته ارجمند الملقبة بممتاز محال على ضفة نهر جمنا قرب مدينة اكرا سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمه نادرشاه ملك الفرس وكانت فيه الماسة الشهيرة المسماة (بقوه نور) وهي التي تقدم ذكرها في تاج الملكة فيكتوريا في باب النسائيات . وكانت زوجته تلك قد توفيت نفسا. فحزن عليها حزناً مدنفاً وعزم ان يبني لها مدفناً يكون اعجوبة الزمان فبناه ممثلاً به جمالها وكمالها حتى ان الذين انتقدوا هذا البناء العظيم قالوا ان فيه نحافة نسائية . وقد بلغ ما انفق عليه اكثر من مليوني جنيه فان قاعدته ١٨٦ قدماً مربعه وارتفاعه مئتا قدم وهو مبني بحجارة حمراء ورخام ابيض ومرصع من الداخل بجواهر

وضعت بيمناه فوءادًا فلم يجد   سوى ملكه من حلية لشمالكِ
فلا ما بنى «كسرى» ولا قصر «جعفر»   ولا قصر «غمدان» ولا للبرامك (٢)
كأني ارى افقًا تجلت نجومه   كأنك فيه بعض تلك الملائك
كأن تلوبًا في غرامك أحرقت   فذوّبها الصيّاغ بين السبائكِ
كأن اللآلي المشبهات ازاهرًا   فرائدها بعض الدموع السوافكِ
كأن ظلام القبر في لمعانها   شعور الغواني بين حالٍ وحالكِ
كأن سناك في دياجيه نيّة   تردد في قلب طهور مباركِ
كأني ارى تلك المآذن ايديًا   تشير الى الافلاك إنك هنالكِ
بدائعُ نالت من يراعي ولم يكن   يراع يباريه بتلك المسالكِ

كريمة وفي جدرانه عضائد من المرمر الاسمر والبنفسجي كأنها حواش لما تحيط به من النقوش وعلى زواياه غرف اربع قد صفحت بصفائح كبيرة من الرخام الابيض وعليها زهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الالوان والاقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها ازهارًا طبيعية وربما كان في الزهرة الواحدة مائة حجر كريم او اكثر . وكان للتاز بابان كبيران من الفضة الخالصة وقد نزعا لما نهب الجات مدينة اكرا وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى من سبع قباب وحوله درابزون كان من الذهب الابريز مرصعًا بالجواهر وهو الآن من المرمر والقبران مغطيان بالازهار المصنوعة من الجواهر الثمينة وعلى زوايا التاز اربع مآذن عظيمة من الرخام

(٢) ما بناه كسرى هو الايوان المشهور . وجعفر هو الخليفة المتوكل وكان قد تأنق في بناء قصر سماه الجعفري وللبحتري اشعار فيه وغمدان بالضم من قصور اليمن قال المجد : بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعًا . والبرامك هم البرامكة وزراء بني العباس المشهورون

افضن على قلبي الجلالة والتقى   فاصبحت منها بين ناسٍ وناسكِ (٣)
وان بناني للفوءاد سنابك   فاطلق جوادي ينطلق بالسنابكِ

وقال

يصف الليل وغروب الشمس

الليل في الافلاك مثلي آمالُ   فيظلم ام هذي الحنادس اهوالُ
تبوّاء عرش الشمس غصبًا وردّها   لها الغرب والاظلام سجن واغلالُ
وشدّ على هذا النهار فلم يقف   واطلق من ساق النعامة اجفالُ (١)
وشُقّ له في الافق فانساب هاربًا   كما انساب في بطن الجداول سلسالُ
وهاب الدجى ان تفزع الشمس فزعةً   تنير لها من بعدما اسودّت الحالُ (٢)
فاوصد ابواب السماء وانما   عليهنّ من هذي الكواكب اقفالُ
ولو كان ذا قلب شجيٍّ لظنها   الهًا له في هيكل الحسن تمثالُ
وما خلت هذا الكون الا كوجنة   عليها الدجى فيما اشبهه خالُ
فيا شمس هل مزّقت ثوبك عندما   نُكبت وهذا الغيم في الافق اذيالُ
ام انتثرت منك الحليُّ لعثرة   وهذا الهلال الساقط النصف خلخالُ
وهل نال منك الوجد فازددت صفرةً   وحولك من هذي النسائم عذالُ
لئن صرت معطالاً فكل مليحة   كمثلك تمضي للكرى وهي معطالُ (٣)

(٣) ناس اسم فاعل من نسى والناسك الزاهد والجناس في البيت ظاهر وكذلك في بيت (حال وحالك) ولم نتكلف في هذا الجزء بيان انواع البديع
(١) اجفل الظليم (وهو ذكر النعامة) اسرع وذهب في الارض
(٢) اذا فزعت الشمس انار الوجود فالظلام بعض احوالها
(٣) المعطال بالكسر العاطل من الحلى ولا ينام النساء بحليهنّ

تودعك الدنيا وتستقبل الدجى　　كما ودع الام الرحيمة اطفال (٤)

وما الليل الا ظلمة الهم عند من　　اقام واوفى من يحبهم زالوا

علامَ يطيل الليل بي من وقوفه　　فهل انا مما شفني الحب اطلال (٥)

كاني بهذا الليل قد كان وجهه　　لاهل الهوى فالاً وقدصدق الفال (٦)

مساكين يحتالون فيما اصابهم　　وفي امرهم دهرٌ كذلك يحتال

اذا نقضوا او ابرموا عكس القضا　　وما كل ذي قول لما قال فعّال

فيا ليلُ خلّ الصبح يهدِ نفوسنا　　الينا فارواح الورى فيك ضلاّل

ولست بمكسال تدل وان تكن　　فما اقبح الوصفين سوداءُ مكسال (٧)

﴿وقال﴾

يصف قطار السلك المعروف (بالترامواي)

كوكبٌ ابدلته ايدي الليالي　　من سماء العلى سماء المعالي

مشرق بيننا نهاراً وليلاً　　منذ امسى نهارنا كالليالي

---

(٤) اذا ودع الام اطفالها فانهم لا يستقبلون بعد وداعها غير الهم وهو الذي بينه في البيت بعده

(٥) لا تجد قط ابدع من هذا التعليل ولم يجيء به متقدم ولا متأخر فقد كان من عادة شعراء العرب ان يقفوا بالاطلال ويبكوا و يستبكوا الى آخر ما هو معروف عنهم واحسن ما تسمى به هذه القصيدة « حسن التعليل »

(٦) في الحديث احسن السيرة الفال وهو ان تسمع الكلمة الطيبة فتتيمن بها وتقول العرب « دون الغيب اقفال لا يفتحها الزجر والفال »

(٧) المكسال ذات الكسل وهو ممدوح في النساء عند العرب ولكنه غير الكسل الذي نعرفه من نسائنا بلا ريب

هو حلم وان شهدناه فالغف　　لة نوم لاعين الجهال (١)

ان قومي في الناس قومٌ نيامٌ　　فلذا يحلمون بالآمال

لم نزل عاشقين للغرب حتى　　زارنااليوم منه (طيف الخيال)

ايها الغرب علم الشرق ان لا　　علم لا شيء فيه صعب المنال

كل شيءٍ يجوز لكن على قد　　ر العقول اختلافنا في الحال (٢)

ويح قومي حتى جماد «اوربا»　　نال من رزق خيلنا والبغال (٣)

ايهذا (الترام) انت دليل الا　　فق في الارض شرقها والشمال

قيل فوق المريخ ناس فلما　　انكروا جاء هم بهذا المثال (٤)

قرأتْ من حديدك الناس سطراً　　ان قول الرجال في الاعمال

وله القضب احرف فوقها الا　　سلاك شكل لموضع الإشكال

---

(١) مما يذكر في ذلك ان بشاراً دخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور وكانت فيه غفلة فانشده قصيدة فلما اتمها قال له يزيد ماصناعتك يا شيخ فقال « اثقب اللؤلؤ » فضحك المهدي وقال أتتنادر على خالي (اي تنكت) فقال يا امير المؤمنين فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً اعمى ينشد شعراً فيسأله عن صناعته (٢) كلما ارتقت النفس وسما الفكر قلت المستحيلات فان الجاهل يرى صناعة الشيء البسيط كالتلغراف مثلاً من المحال بخلاف العلماء فانهم لم يقفوا عند حد وانظر الى قول نابليون الاول صاحب تلك النفس الكبيرة « ان كلمة مستحيل لا توجد الا في قواميس المجانين » (٣) تقدم « الرافعي » كل الشعراء في الجزء الاول بقوله في قطار البخار

ليس في (قلبه) سوى الشوق لكن　　كتم الدمع فاستحال بخارا

وهي هناك في باب النسيب وتقدمهم في هذا الجزء ايضاً بقوله في قطار السلك (ويح قومي البيت . .) ولم نعرف شاعراً قط وصف الترام وهو يجري بيننا ويقتل منا في كل يوم

(٤) المريخ احد الكواكب السيارة وقد ذكر بعضهم انهم اكتشفوا فيه على اناس كأهل الارض وما زال ذلك موضوع جدال الى اليوم

كل دار تدور فيها اراها   غضة ذات بهجة وجمال

فبنوها الغذا وتلك عروق الـ   جسم تجري به الى الاوصال

...

ليت شعري اكانت الارض افقاً   سودوا وجهه من الاهوال

وهو فوق اقضبان بعض الدراري   عكسوه فسار فوق الهلال

ام هو النفس والخطوط خيوط العمر تمضي بها الى الآجال

فهي مهما يمد فيها سواء   تنتهي من قصيرة وطوال

ام هو القلب فوقه كهرباء الوجدان ان مسها جرى من خبال

طائفاً ينشد الذي ضلّ منه   واقفاً كل لحظة لسؤال

ذلك الجد وهو عند رجال الشر   ق شيء كلعبة الاطفال

وقال

في فنون من الوصف وذكر الليل

تقادم عمر الظلام الطويل   ولا بد من اجل للعليل

وضاق به الافق ضيق القبور   فزم الكواكب يبغي الرحيل

وراح تخفّت هموم القلوب   كما سار بعد المقام الثقيل

لقد كدت ابغض لون الظلام   لولا شفاعة طرف كحيل

طوى الشمس فاختبأت اختها   نفور الغزالة من وجه فيل (١)

(١) الغزالة الشمس وانثى الغزال ففيها التورية وقد غلّطوا الحريري في قوله (فلما ذر قرن الغزالة ، طمر طمور الغزالة) وقالوا انه لا يقال الغزالة للظبية ولكن بعضهم اعتذر له

وكانت اذا احتجت قبله   تجاذبها نسمات الاصيل (٣)

ترى البدر غار فاغرى بها   وكل جميل يعادي الجميل

ام الحظ ارسل لي ذا الدجى   فكان الرسالة وجه الرسول

ام الليل قد قام في مأتم   فمنه الحداد ومني العويل

ولم انس ساعة ابصرتها   وجسم النهار كجسمي نحيل

وقد خرجت لتعزي السماء   عن بنتها اذ طواها الافول

على مركب اشبهته البروج   تمر به كالبروق الخيول

اذا قابلته لحاظ العيون   سمعت لاسيافهن صليل (٣)

وان قاربته ظنون النفوس   رأيت النفوس عليه تسيل

وقد اخرجت نفحات الرياض   زكاة الرياحين لابن السبيل (٤)

وقد عبث الدّل بالغانيات   فذي تتهادى وهذي تميل

كان الحواجب قوس فما   تحرك الا جلت عن قتيل

كان القلوب اضلت قلوباً   فكانت لحاظ العيون الدليل

حمائم في حرم آمن   بهذا الضلوع نباة الخليل

وما راعها غير لون الدجى   يصدّىء لوح السماء الصقيل

(٢) يريد بذلك خروجها وقت العصر كما هي عادة المتفرنجات اليوم

(٣) المراد بالصليل صوت العجلات وان كان في الاصل صوت السيوف الا انه لما علم بانه قراع اللحظ باللحظ جاز ذلك

(٤) ابن السبيل عابر الطريق وهو احد من تجب لهم الزكاة ولا احسن من هذا المعنى في موضوعه

فيا قبح الليل من قادم ... بوجه الكذوب ومراى العذول
بغيضٌ الينا على ذله ... وشرٌّ من الذل بغض الذليل
وكم عزني بالاماني التي ... ارتني ان زماني بخيل
ومن امل الناس مالا يُنال ... كما ان في الناس من لا يُنيل (٥)

وقال

مرتجلاً في القمر وقد رآه بين نجمتين ينزلان عن صفحتيه قليلاً

يا طلعة البدر اذ الـ ... نجمان يكتنفانها
أذكرتني حبيبةً ... كنت علي سلوانها
ذا وجهها وذا وذا ... قرطان في آذانها

وقال

في الخمر (١)

ذهباً هات والاَّ فلجينٌ ... ان هذي الراح بنت القمرين (٢)
هاتها كلتيهما ثم اسقني ... وكل الافراح لي بالقدحين
هيَ في العينين نورٌ ساطعٌ ... وهواءٌ منعشٌ في الرئتين
اخرجوها من حشا الدن وناد ... وا حنيناً ليرى بنت حنين (٣)
ثم لفوها بكاس وغدت ... كالصبي من يدين ليدين
يا حبيبي انها نرجسة ... وارى في وجنتيك وردتين

(٥) واحدة بواحدة ولا يظلم ربك احداً

(١) اعتذرنا عن الشاعر في انه ينظم في الخمر عن ذكرها في باب الوصف من الجزء الاول فليراجع هناك فقد ذكرنا فيه نادرة بديعة ونقول هنا انه ينظم هذه المقاطيع بلسان غيره ومن عادته انه متى تكلف شيئاً لا يظهر فيه التكلف مطلقاً

(٢) الراح منها في لون الذهب ومنها في لون الفضة لا تخرج منهما في المشهور

(٣) يريد بحنين الخمار وهي مداعبه

ما عليك ان شممت هذه او قطفت هذه بالشفتين
هاتها ثُمَّتَ خذها وافرع الكا ... س بالكاس وهز المنكبين
انما يعلمنا الكاسان ان ... ساعة الافراح دقت دقتين
واسقني حتى ارى الناس على ... اربع يمشون لا على اثنتين (٤)
انهم والله لا ينقصهم ... في الحمير غير طول الاذنين

وقال فيها

نعس النجم ولم انم ... فصفوا لي لذة الحلم
ليت شعري هل انا ملكٌ ... حاكم في النور والظلم
ما تراني ان قمدت لما ... وقف الليل على قدم (٥)
يا نديمي عد لتذكرنا ... عودة الارواح للرمم
لم يدع فيَّ الغرام دماً ... وارى في الكاس مثل دمي
راحة في دنها انعدمت ... وكذا الاشياء من عدم
واذا رقرقتها سطعت ... نفخة الوقاد في الضرم
وكأن المزج يفرعها ... شيبة في عارضي هرم
وهي والكاس على شفتي ... قبلات من فم لفم
حاربت آلام عصبتها ... ولكم يشكون من الم

(٤) هذا من سخطه على الناس وقد قرأنا من قريب في بعض الصحف ان نفراً من حذاق الاطباء قد انشاؤا في برلين مستشفى يداوون فيه بعض الامراض كفقر الدم والزائدة المعوية بمشي المريض على اربع كالبهائم يفعل ذلك كل يوم اربع مرات وتكون مدة التمرين في كل مرة نحو عشرين دقيقة بشرط ان تبقى الركبتان قائمتين وقد ذكر في تاريخ الرومان ان ارسطو عالجه بعض اطباء زمنه بهذا العلاج وهو الزائدة المعوية فشفي

(٥) الضمير عائد على الخمر وهي ظاهرة بدلالة القرائن والشرب انما يكون وقت السرور فوق النيل علي قدمه كناية عن تأهبه للذهاب وهي استعارة بديعة ومثلها اقول الحسن بن وهب في الخمر ايضاً « شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما عقلت حتى لحفني قميص الشمس »

فلهم في كل آونة ... ضجة من خلف منهزم (٦)
يارجال الشعر لست فتى ... ان انا لم يطوكم علمي
كيف لا تعيي مناظرتي ... وهي صبري والهوى قلمي
وانا في وصفها غرد ... ترقص الدنيا على نغمي

وقال فيها

ايضا

الا عاطني الخمر ان الزمان ... على ميمها وعلى رائها (٧)
وانعش بها زهرات السرور ... فقد نبتته قبل من مائها
لعرش السماء ارتقت امها ... وفي الارض (اعراش) آبائها (٨)
فليست لغير ملوك الكلام ... وبنت الملوك لاكفائها
ولا غرو ان زاد اعداءها ... فقدر النفوس باعدائها
أليس من الظلم للخمر ان ... تذم باحسن اسمائها (٩)

وقال فيها كذلك

رحيق كماء الشباب ... ب من وجنة يقطر
بكأس كبدر الدجى ... ظلامي بها مقمر

(٦) يضج الشاربون مرة بعد مرة في سكرهم فكأنهم يصيحون بالتهزم من آلامهم الذي هزمته الخمر على ما ذكر في البيتين ومن كلمات المامون النبيذ صابون الهم ومعنى شاعرنا مبتكر له

(٧) اي مر

(٨) يعني بامها الشمس لانها تغذيها نباتًا وتخمرها عصيرًا واعراش آبائها هي اعراش الكروم

(٩) لا نجد من يذم « الخمر بغير هذا الاسم ولا يتفق ذمها بغيره ولم ترد في القرآن مذمومة قط الا به وهي احق بالذم الا انه معنى عرض للشاعر فلم يتركه ومن هذا الفرق كيف يتنبه الشاعر الحق لكل شيء على ما اشترط في المقدمة

وساق على ساقه ... يرجرجه المئزر
تحجبها كفه ... وفي خده تظهر
اراه لنا قائدًا ... ونحن له عسكر
كأن صفاء الرحيـ ... ـق نافسه الكوثر
فمن ربح اليوم ذا ... فذاك غدًا يخسر

وفيها ايضًا

مني النفس لو بقيت لي المنى ... ومن للشقي بيوم سعيد
تعيد الينا السرور القديم ... كأنا خلقنا بها من جديد
وتذكرنا الازمن الخاليات ... كذكر العظيم ليالي المهود
فهات اسقني بالكؤوس الكبار ... فما احسن الفم فوق النهود
نضار لمن يده كالنحاس ... ونار لمن قلبه كالحديد (١٠)

وقال

يذكر امانيها وما تعد من الغرور

هو الدهر آتيك او ذاهب ... وصادقك الوعد او كاذب
فدعه لمن شاء من ذا ترى ... يجد ومن حوله لاعب (١)
وان كنت في امل فاقتصد ... فمعطي النفوس هو السالب
لقد علمتني تجاريبها ... بان القنوع هو الواجب
فدعني بربك لا تسقني ... فان التمني لها صاحب
وإما ابيت فمهلا اذًا ... انا ذلك الملك العاصب (٢)

(١٠) يسمى النحاس صفرًا بالضم ويقال يد صفر اي خالية والمعنى انها غنى في يد المعدم ولين في القلب القاسي

(١) يقال احمق ما يكون السكران اذا تعاقل

(٢) قيل لرجل ترك الخمر لم تركتها وهي رسول السرور الى القلب فقال ولكنها رسول يا س يبعث الى الجوف فيذهب الى الراس

ولي الارض مشرقها والمغيب   هنا جانبٌ وهنا جانب
فهاك وهات وخلِ الانام   يحجبهم عني الحاجب
اذا ما شربنا ارى الارض تمشي   وكل امرئ فوقها راكب
طرحنا غمام الاسى للسماء   فراس السماء به شائب (٣)
ومن عنت الراح تدني المنى   وتحضرها وانا (غائب)
لها رقة كدبيب الكرى   فلا غروَ ان يحلم الشارب

الخمر والهوى

قال في معنى عرض له

رأيت والخمر سيين غدرةً   وليسا على قلبي الحزين بسيين (٤)
اذا اتوارى يطلبان فضيحتي   فتظهر في وجهي ويظهر في عيني

وقال ايضاً

نظروا الكأس فقالوا   انها دمعة صبِ
قلت بل ذاك فؤادي   ذاب من نيران حبي
فاعذروني في هواها   انما اشرب قلبي

وقال فيها

ان كنت قاتلها فبالانداء   او كنت دافنها ففي الاحشاء
واحمل جنازتها على عنق الصبا   واقطع لها كفناً من الظلماء
وادعُ الحمام ينوح ساعة دفنها   واغسلْ زجاجتها بماء بكائي
ولها عليك وصية مرعية   ان لا يشيّعها سوى الندماء

(٣) كأنه عُرض عليه الشراب فابى تجنباً للآمال الكاذبة التي لا تعقب في النفس الا الحسرات والتمني ابن الراح فلما اصر من عرض عليه انطلق في المنى كما ترى وقد قيل ان عبد الملك بن مروان قال يوماً للاخطل ماذا يعجبك من الخمر واولها دوار وآخرها خمار قال نعم ولكن بينهما ساعة تشترى بملكك . ولا شك انها ساعة التخيل الفارغ

(٤) ترى السماء بيضاء فكأنها شابت من هول الاسى الذي طرحه عليها

عذراء باركها المسيح كأنها   نفَس تنفسها فتى العذراء
بينا تعيد الروح للاموات اذ   هي تخمد الارواح في الاحياء
واذا ادرت صحونها نظروا لها   فكأنها في دعوة البخلاء
خذها بثاري انها شربت دمي   ودمي عزيز يفتدى (بدماء)
فتانةٌ بمزاجها فكأنه   لُمع السراب تلوح في الرمضاء
يا وجنة الحسناء ضرّجها الحيا   لم ادر ايكما من الحسناء
يا ربقة اللمياء تلعب بالنهى   لم ادر ايكما من الصهباء
راح وروح كاسها ام تلك من   نارٌ ونورٌ ام شهاب سماء
ومدامة ام لوعة ام دمعة   حمرا جرت من (اعين بيضاء)
اسماء خصص علمهنّ بآدم   يا ليت لي علماً من الاسماء (٥)

وقال

يصف رقص بعض الغادات

يا للهوى والغزل   من العيون النجل
من الظبى لا كالظبي   من مرحٍ وكسل (٦)
من المهى لا كالمهى   في الحدَق المكتحل
من الدُّمى لا كالدُّمى   في حسنها المكتمل
اقبلن يختلن فلم   يكنَّ غير الاسل
ثم نظرن نظرة   معقودة بالاجل
ثم انسربن من هنا   ومن هنا في سبُل
منفردات وجلاً   يا طيب هذا الوجل
مبتعدات خجلاً   يا حسنه من خجل

(٥) يشير الى الآية الكريمة « وعلم آدم الاسماء كلها » الى قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم

(٦) من الظبا في مرحها وكسلها لا كالظبا حقيقة ومثله ما بعده والمهى بقر الوحش جمع مهاة والدمى تصاوير العاج جمع دمية

ثم التقينا كالتقا ء املٍ بامل
موء تلفات جزلاً وهنَّ بعض الجذل
مختلفات جدلاً والحسن اصل الجدل
هذي تُغير هذه بحليها والحلل
وتلك من زينتها زينتها في العطل
تنافساً والحسن للـ حسان مثل الدول
ثم انبرت فاتنة تميل ميل الثمل
تنهض خصراً لم يزل من رِدفها في ملل
تهتز في كف الهوى هزَّ حسام البطل
قائمةً قاعدة جائلة لم تجل
كالشمس في ثباتها وظلها المنتقل
دائرةٌ في فَلَكٍ من خصرها والكفل
وصدرها كالقصر شيـ ـدفوق ذاك الطلل(١)
وخصرها كزاهد منقطع في (الجبل)
يهزها كل انيسٍ من شجٍ ذي علل
فهي لنوح العود ما زالت ولماً تزل (٢)
كأنه من اضلعي فان بكى تضحك لي
كأنها عصفورة وانتفضت من بلل
ترتج كالطير غدا في ركفة المحتبل
تهتز لا من خبَل وكلنا ذو خبل
تلهو ولا من شغل وكلنا ذو شغل
ناظرةٌ في رجلٍ مغضية عن رجل
من حاجب لحاجبٍ ومقلة لمقل

(١) يريد بالطلل الخصر وهو يمدح بالنحول ليظهر ما فوقه وما تحته . وتشبيه الخصر في البيت الثاني فضلاً عن كونه مبتكراً فانه مما يُجن به
(٢) اي ما زالت تهتز

كالشمس للعاشق والشعر له كزحل
باسمة عابسة مثل الضحى والطفل
واثبة ساكنة مالت ولما تمل
بينا تقول اعتدلت تقول لم تعتدل
وقد تظن ابتذلت فينا ولم تبتذل
تمثل الذي درت شفاهها من قبلي
فعجلٌ في مهلٍ ومهل في عجل

وقال

في روضة با كرها يوم النيروز المعروف (بشم النسيم)

روضة باكرتها في فِتية خصصوا للهو ما قد خصصوا
طربت اعضائها حتى انثنت عندما قام النسيم يرقص
وذكاء كحمام رفرفت حينما افرج عنها القنص (١)
والغواني كالظبا في حرصها غير ان القانصين احرص
فلهونا ثم عدنا وكذا كل شيء بالتمام ينقص
وكأن الصبح كان فرصة وسريعاً ما تمر الفرص

وقال

يصف الزهر والغصون في معنى عارض

الا ترى الزهر في رباه كأنه قلبي السليمُ
كأن اغصانه الحواني هذا ولي وذا يتيم
تعاشقت مثلما ترانا هذا صحيح وذا سقيم
وكلما تنثني غِضاباً يُصلح ما بينها النسيم

(١) ذكاء بالضم الشمس ولا تدخله اداة التعريف

وقال

في البحر والسماء

على السماء وفوق الشمس اشعاري   وتحت اصداف هذا اللج افكاري

وبين تلك وهاتا جرى قد قلمي   بمعجز الوصف من درٍّ وانوارِ

ارى جمالاً تعالى ان الم به   وجلَّ خالقه من مبدعٍ باري

كأنما الكون غيداء محجبةٌ   تطل مشرفة من خلف استار

فالبحر مقلتها والبر حاجبها   من فوقه جبهة زِينت باقمار

او كان ذا البحر ديباج السما وقد اذ   حل الوشاح فها صدر السما عاري

او هذه لبست من ليلها حللاً   ومن كواكبها زُرت بازرار

او انما الشمس ظنت انها خطفت   بالحسن ابصار قوم دون ابصار

وحالت الارض دارًا للسما فلذا   اقامت البحر مرآة بذي الدار

يا مسكن الشهب الزهراء كم عجب   بمعدن الدرر الغرا واسرار

ان تحملي فلكاً قد دار دائره   فدونك اللجُّ دوّار بدوّار

كلاكما حسنٌ والحسن بينكما   كالروض يأرج من اشتات ازهار

اني ارى الشمس تحت البحر مطفأةً   والماء ما زال ذا بأس على النار

كانما هو كف الارض قد بُسطت   الى السماء فجادتها « بدينار »

او غاصت الشمس تحت اللج هاربة   فما على الناس من همٍّ واكدار

الست تبصرها صفراء جازعةً   وقد خبا زند تلك الشعلة الواري

تشبه الناس طهرًا بالملائك من   خبث الضمير وكانوا غير ابرار

والبحر افقهم من افكهم وكذا   لا تحمل الارض الا كل غرّار

لو انصفوا لرأوه في تأججه   على البسيطة كالمستأسد الضاري

لكنَّ من الف الانغام مسمعه   يخال كل زئير نفخ مزمار

ما للخضم اراه كاشرًا فزِعًا   يخدّش الارض من لجٍّ باظفار

مجردًا في تدجيه صفيحته   مستوفزًا بين بتّار وتيار

يقيمه الموج حردًا ثم يقعده   ما بين منسحب منه وجرّار

والافق مكتئبٌ حينًا ومبتسمٌ   ما بين ليل دجوجيٍّ واسحار

يا ايها الناس ان البحر موعظة   وضجة البحر ليست غير انذار

فكم عليكم به لله من حجج   والذنب يُغفر الا بعد اعذار

البحر الين شيءٍ ملمسًا فاذا   خاشنتموه بلوتم اي جبار

ولو تساند كل الخلق ما قدروا   ان يحبسوا موجةً من موجه الجاري

فكيف يُجحد رب البحر قدرتهُ   وذلكم اثرٌ من بعض آثار

آمنت بالله ما شيء اراه سدى   لكنها حكمٌ تجري باقدار

وهذا

فصل كتبه في رمل الاسكندرية يصف به ساعة اقامها هناك يوم الاحد وانما ذكرناه في هذا الموضع لمناسبة ما جاء فيه من وصف البحر والسماء وهو نموذج من كتاب « ملَكة الانشاء » (١) الذي يضعه الان قال

يوم الاحد ما يوم الاحد ، كأن بنات الارض قد حسدن بنات السماء فلا تزال كل مليحة تنظر الى نفسها ، وتنتظر ما بعد امسها ، حتى تقوم سوق الحسن فيه على ساقها ، وتشتبك انجم السماء والارض باحداقها ، فتدور رحى القتال ، بين ربات الجمال ويقف الحسن والهوى بين السماء والارض ، وقفة الملكين للشهادة في يوم العرض ، ولو خلق الشهر انسانًا لما كان موضع عينيه ، وبين جنبيه ، غير اربعة ايام الآحاد

هبَّ النسيم وتوارت الشمس عاصبة الجبين صفراء من الجزع على بناتها وكأنما ارادت ان تحتجب عن الارض حتى تضع تلك الحرب اوزارها ، وتفضح نسمات الصبح اسرارها ، فانكفأت الى الغرب وغادرت من اشفاقها على الافق شفقًا ، ونثرت اقداحها التي تحسو بها النور على السماء نكانب حدَقًا . (١) وكأنَّ الغواني خفنَ على جمالهنَّ من الليل ، خوف العبار على الذيل ، واشفقنَ ان تُزهر في ظلمته نجوم السماء وتتبين بغدها الاشياء ، فاستخنَ آيته بآية الكهرباء ، واوحينَ الى الافق بالسنة الضياء ، وقلنَ للقمر اين انتَ من ذُكاء ،

---

(١) انظر الاعلان عنه في غلاف هذا الجزء

وللنجوم اين خراف « الخضراء » من الظباء

واذا كان في يوم الجمعة ساعة تُستجاب فيها الدعوات ، فان في يوم الاحد ساعات ، يدعو فيها العشاق ، ويضرع بنو الاشواق ، فمن ساقٍ تلتف ، وعين تلتفت ، ومن نحرٍ على نحر ، وبنان رَخص على خصر ، وغنيٍّ يميل على غانيه ، وعانٍ يشكو بثّه الى عانيه ، وقد كفى البحرُ العيونَ اذا كان لا بدَّ في الهوى من عينٍ تدمع ، وطلع القمر اذا لم يجد العاشقان مفرًّا من رقيبٍ يمنع ، ونمَّ النسيم ، بجنات النعيم ، انْ لا لغو فيها ولا تأثيم

ولقد رأيتني بين الحور والولدان ، في « جنان » ، انقلب من يمنةٍ الى يسره ، بين غصة وحسره ، وان كان لي من ذوات الدلال ، جنتان عن يمين وشمال ، وهكذا الشاعر ينظر ، ولا يقدر ، ويشتهي ، ولا ينتهي ، ويعف ، حين يقف ، وعليه الوصف ولغيره ما يصف

اما السماء فقد اسفرت عن بدرها ، وهي كالفكر تلألأت فيه المعاني ، وكشفت الارض عن صدرها ، وهو كالقرية ارتفت فيه من ثديها الامواج كالمباني ، فاقبل البدر ، يضحك من البحر ، وما كاد يفترُّ ثغره حتى ضاءت بنوره الافق ، وظهر وجهه حسنةً في صحيفة الغسق ، فان كانت الملاحة في الاعين السوداء ، فقد جمعها البدر في عينه البيضاء ، ووعاها البحر في مقلته الزرقاء ، ولكلٍّ حسن ، وكل طائر على غصن

وحرج بعد ذلك صدر البحر فهو يقوم ويقعد ، ويرغي ويزبد ، يضرب موجة بموجة ، ويلفُّ الى لجةٍ لجه ، يحاول ان يُولَد منهما كهرباء يصفرُّ لها وجه القمر ومن السفاهة ان يناظر « الملح » السكر وان كان كلاهما ابيض ، وكم بين المسك والفحم وهما من جلدة سوداء

ثم حنقت عليه السماء فما برحت ترسل من انجمها الى كبده سهامًا تحاول ان تخرج الشمس التي ابتلعها ، وترد الى تاجه الجوهرة التي انتزعها ، فتستكمل بذلك جمالها ، وتسحب على هامة الارض اذيالها ، والماء يطفىء النار لكن لا يطيق خيالها

ولقد وقف الليل ، وهو يحدجنا بمقلة سهيل ، فلا يرى الا قلبًا يرف على حسن ، « وطائرًا » يقف على غصن ، وفرحًا يبعثهُ فرح ، وقدحًا يمشي به قدح ، فما زال يتميز حتى كاد ينشق ، وحينئذٍ زفر زفرة غادرت الهناء ، كالهباء وعصفت بها ريح شاب لهولها رأس البحر ، وقذيت برمالها عين البر ، فانتشرت هنالك اذيال الغانيات كالطواويس ، ودقت قلوب العاشقين كالنواقيس ، وانفلت القنص من حبالة القناص ، وتبدد الدر من يد الغواص وتحتم الفراق فنادَوا ولات حين مناص

الباب الرابع

في المديح

وقال

يهنيء صاحب الجلالة الخليفة الاعظم مولانا امير المؤمنين السلطان

عبد الحميد خان ايده الله ورعاه

وذلك بيوم جلوسه الميمون لسنة ١٩٠٣

يومٌ بهذي الليالي يشبه القمرا ... فان رأى حلكاً في افقها سفرا

نخالها ورقًا ان خلتها ثمرا ... والعام غصنها والازمن الشجرا

ما زال فيه بريق التاج من قدم ... واللحظ يزداد سحرًا كلما فترا

يوم جلا غرة في المجد سائلة ... تناظر الشمس ان قاسوا بها الغررا

مرآة فكر مليك فوقها انعكست ... انواره كغديرٍ مثّل القمرا

يضاحك التاج منها لمعة سطعت ... من الجلالة يغشى ضوءها البصرا

« عبد الحميد » بهرت الخافقين فما ... ندري أوحيًا ترينا ام نرى فكرا

ان تغرس الرأي فالتسديد زهرته ... وان هززت القنا اجنينك الظفرا

ما بين سلمٍ وحرب انت ربهما ... تركت هذا الورى في ماء من حذرا

فلو تشاء امرت النار فانطفأت ... ولو تشاء زجرت الماء فاستعرا

تصرف الامر تصريفاً كأن على ... امر القضاء الذي نقضي به القدرا (١)

ومن يكن قلبه في كل حادثة ... عيناً لفكرته لا يخطئ النظرا

ياضارباً بشبا السيف الذي ارتعدت ... له الممالك اطعم سيفك الجزرا

لا تخش زلزالها ان عصبة رجفت ... فمن يكن معولاً لا يرهب الحجرا

اذا سيوفك ظنوها صوالجة ... فان اروءسهم كانت لها أكرا

غرست عندهم نعماك في سبخ ... ومن يلوم على ري الثرى المطرا

وزارع الحب لا ينفك يبذره ... وليس في وسعه انبات ما بذرا

ارى على الارض جراراً له لجب ... تخاله الارض اطواداً اذا انحدرا (٢)

كأنه يوم يرتج الوغى شهب ... تساقط الجو منها يرجم البشرا

من كل ليث اذا حفزته قطرت ... انيابه واستطارت عينه شررا

يلقى صدى الموت في الاذان من فزع ... كأنما ثار يدعوه اذا زأرا

ارى العناية صفت جيشهم كلما ... حروفها قرئت «ما زال منتصرا» (٣)

اراه في الارض معنى لا نظير له ... فما اكذب ان ادعوه مبتكرا

ياعرش (يلدز) انت النجم لاعطلت ... منك السماء التي املاكها الوزرا

(١) يريد ان جلالته يقضي الشيء على مقتضى الحكمة فلا يخطىء ما يرمى اليه حتى كأن القدر قائم على قضائه لما يكون بينهما من المطابقة بعد فيقع الشيء بتقدير الله وبذلك السبب . وجلالة مولانا السلطان الاعظم اكبر اهل السياسة في الارض كما شهد بذلك العالمون

(٢) يصف الجيش التركي العظيم والاطواد الجبال

(٣) تصف الجيوش على اشكال هندسية بحسب حركات العدو فكان الجيش الشاهاني المظفر اذا صف كان على شكل هذه الكلمات « ما زال منتصرًا » ولا حاجة ان نقول ان المعنى مبتكر لشاعرنا فلم نلتزم ذلك في كل ما مر

غدا بك الملك وجنات موردة ... واعيناً ملأت اجفانها حورا

لازلت تشرق بالنور الذي اقتبست ... منه العروش نجوم الحكمة الزهرا

كذاك يلقي شعاع الشمس بهجته ... على القوارير حتى تشبه الدررا

وقال

وقال يهنيء الجناب العالي الخديوي بعيد جلوسه السعيد لسنة ١٩٠٣

عرش يطول مدار السبعة الشهب ... والشمس في تاجه لا حلية الذهب

حيى الزمان بكنف العز مالكه ... فصافحت منه كف المجد والحسب

على جوانبه نور تلألأ من ... نور الامير واجداد له واب

يدني النفوس ونقصيها مهابته ... كزخرف الشمس في الهندية القضب

وما رأى وجه «عباس» يقابله ... الا تهلل بين التيه والعجب

مولاي ان بيوم قد رقيت له ... من رحمة الله سراً بان للحقب

يوم تمنته مصر قبل سوغها الل ... ه المنى وغدت موصولة السبب

«عباس» اسعدها والله ايدها ... والدهر جددها بالعلم والادب

فامتد جانبها واشتد صاحبها ... وارتد خاطبها عن ذلك الارب

والنيل مذ نسبوه للامير جرى ... ينافر «السين والتاميز» في النسب (١)

مثل العروس اذا زفت تختال في ... استبرق عجب او سندس قشب

او كالقصيدة في مدح العزيز اذا ... ما امتد في الارض مد الشعر في الكتب

يا صاحب النيل يحميه ويحرسه ... من كيد ذي غائل في الصدر ملتهب

لو يستطيع بنو مصر لقد خبأوا ... ذا النيل في كل جفن غير منتحب (٢)

فابسط يديك ليجري لائذاً بهما ... اني ارى الروع في آذيه الصخب

(١) السين نهر باريز والتاميز نهر لندرا والنيل نهر مصر ولا شك ان في جمع هذه النظائر نكتة

(٢) ما احسن احتراس الشاعر بقوله (غير منتحب) لانهم لو خبأوا النيل في الاجفان المنتحبة اي الباكية لاضاعوه

هذي القلوب احاطك الشغاف فلم ... تختنق وانت بها الاّ من الطرب

وكنَّ في مضض لم يأْلها وصبًا ... واليوم طاب ولولا انت لم تطب

اقررت مصر على ريح تكفئها ... كبّ السفينة في التيار والعبب

وقيتها حين لا امنٌ ولا رغدٌ ... وجئتها بحياة وهي في العطب

فكنت جُنتها من كل طارقة ... وكنت جَنتها في ربعها الخصب (٣)

انت النجابة من آبائها ظهرت ... فلست اعجب ان قالوا ابو النجب

سموت بالصاعدين الجَد والحسب العا ... لي وبالساعدين الجِد والطلب (٤)

فنم لمصر فلم يثبت سواك لها ... صدق العزيمة والايام في كذب

ان الزمان لمن جدوا على حصر ... بالرأي وهو على الساهين في اللعب

﴿ وقال ﴾

يمدح امام الشرق وفيلسوفه العظيم مولانا الحكيم الشيخ ﴿ محمد عبده ﴾ مفتي الديار المصرية اعزه الله وبعث بها اليه في عيد الفطر سنة ١٣٢١

فلك يطل فهل له عينان ... ان الكواكب فيه كالاجفان

نظر الانام فلم يزل مترنحاً ... اتراه يعجب من بني الانسان

وجرى ولو بلغته انفاس الورى ... الهاه ما حملت عن الدوران

اني ارى الانسان سرًا غامضاً ... والكون ما ينفك في كتمان

شيءٌ اراد الله فيه ارادةً ... حجبت حقيقته عن الاذهان

هذا لذاك اخٌ فان يعرض له ... املٌ تناكر عنده الاخوان

بئس الزمان ترى بنيه كانما ... للمرء في نياته قلبان

ان السرائر كالوجوه اما ترى ... هذي الوجوه كثيرة الالوان

(٣) الجُنة بالضم الوقاية وبالفتح ما يصغره العامة بقولهم (جنينة) وهي الروضة

(٤) الجد بالفتح الحظ وبالجد الدأب والسعي

وكذا النفوس معادنٌ لكنما ... قيمُ النفوس مآثر الابدان

والمرء ان عُد امرءًا بوجوده ... كان الجماد يعد في الحيوان

ما النطق في الانسان لولا عقله ... سبباً يفضله على الاكوان

هذر الطيور لغاتها كلغاتنا ... ونعدها ضرباً من الهذيان

والناس مملكة العقول وبعضهم ... تجد العلوم عليه كالتيجان

والدهر ازمنة لكل عزة ... من اهله « ومحمد » لزماني

القائد الافكار في ميدانها ... والعلم زاوية من الميدان

والمنتضي سيف الهداية بعد ما ... قد كان في غمد من القرآن

يغرى بحديه الضلال ولم يكن ... حداه غير يراعة ولسان

مولاي امسى الدين مما بدلوا ... فيه كمرقعة من الاديان

والمسلمون لجهلهم قد اصبحوا ... طُرحوا بمطرح ذلة وهوان

ثقلوا وخف سواهم فلذا غدوا ... في الكفة السفلى من الميزان

والناس في عملٍ وهم في ضجةٍ ... مما فلان قد روى لفلان

فانض اليراع فان للسيف الجسو ... م ولليراعة انفس الانسان

يجري بكفك حيثما اجريته ... حكماً ويقطر من حجىً وبيان

مرهوب هاتيك الشباة كأنها ... قدر تمثل في حديد سنان

وتراه مما امتص من مهج القلو ... ب يظل يحكي القلب في الخفقان

فادفع به عن امة قد هدها ... ابناؤها وطوارق الحدثان

ان الزمان على الجبان غضنفرٌ ... وعلى الغضنفر فيه نفس جبان

ولقد اراك وانت اكرم منزلاً ... في الناس مثل العين في الاجفان

وارى رجال العقل كالالفاظ تحـ ... ـت عقولهم مما افدتَ معاني

وحللت في قلبي فمدحك شيمةً   حملت عليه خلائق الايمان

هيهات تُنكر والحواسد يطرقو   ن لاحرف اسمك عند كل اذان

والشمس تظهر للعيون جليةً   وشعاعها رسل الى العميان

ذرهم فان محاسن الطاووس فيما   قيل اصل حماقة الغربان

واليكها (والعيد) يصقلها بما   اوليته من بهجة وتهاني

من شاعر هو والذي فضلته   ان عدت الشعراء عد اثنان

وهب اليراعة هزها كل امرئٍ   عرسٍ فمن ليراعة ببناني

وقال

وبعث بها الى صاحب السعادة احمد منشاوي باشا
ايام لهج اهل القطر بوقفيته

ضنتْ وما انا لو تشاء ضنينُ   والبخل الا في الحسان يشينُ

أهواكِ مانعةً وكل مليحةٍ   ليست ممنعة الوصال تهون

حسبُ المتيم منكِ وحي فؤاده   ان القلوب على القلوب عيون

والذُّ ما كان الخيال زيارةً   ان كان يخفى مرة ويبين

قالوا بخلتِ وما بخلتِ وانما   وصل المليحة في الجفاء ثمين

نسخت معاني البخل يسرى (احمد)   واتت بشرع الجود منه يمين

احيى الأولى كنا نرى اسماءَهم   وغدا يرينا الجود كيف يكون

وسمت به مصرٌ على بغداد مذ   كانت وكان بقصرها هارون(١)

---

(١) هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور

ورأى لديه المال بحرًا زاخرًا   فغدت انامله وهن سفين

والقوم ذو فقر يقلب كفه   واخو غنى بنعيمه مفتون

هذا يُرنحه الانين وذاك في   سكراته يهفو به التلحين

قل للذين استأثروا بكنوزهم   ما كان بعد كنوزه قارون

انفوا مساعدة الضعيف وربما   خدموا البهائم والجنون فنون(٢)

واستحجرت راحاتهم فكأنها   صخر وان (فلقوه) ليس يلين

والمجد اقتل ما يكون هزاله   اما رايت الكيس وهو سمين

ضلوا واحمد بينهم يدعوهمُ   او بعد احمد للمكارم دين

نيلان في مصر فذلك قد جرى   ماءً وهذا عسجدًا ولجين(٣)

والنفس ان تغذ الفضائل افلحت   كالماء يسقاه فيحيى الطين

(يا احمدًا) اقرضت ربك والسرا   ة يئن تحت رباهمُ المسكين

والدهر اطماع وفيه حفرة   سيان فيها الالف (والمليون)

---

(٢) اكثر من يسمون اليوم «عمدا و بكوات وبشوات» يعتنون بتربية البهائم اكثر مما يعتنون بتربية ابنائهم بل هم يعلمون بذلك ابناءهم ان يكونوا مثلها في الراحة والرياضة . ولا يريدون مما يفعلون الا الزينة والبذخ وقال الشاعر مرة في بعضهم : ان عقول هولاء في رؤس اوائك

(٣) اللجين بضم ففتح . الفضة وانما كسرت الجيم هنا لتستقيم القافية ومثله قول محمد بن الاشعث في زرقاء جارية ابن رامين وكان قد حج واخرج معه جواريه كلهن

ايـة حال يا ابن رامين   حال المحبين المساكين

تركتهم موتى ولم يتلفوا   قد جرعوا منك الأمرين

(الخ وانما هي الامرين) بالتثنية و يقال ان الشعر لاسماعيل بن عمار الاسدي وقد رواه صاحب الاغاني فانظره هناك في ترجمة محمد ابن الاشعث

و بنيت من كل الضمائر منزلاً ... هو منك ما بقي الورى مسكون
كالشمس من فوق السماء محلها ... وشعاعها تحت الثرى مخزون
ورفعت صوتك بالمكارم جهرة ... تدعو الانام وللسراة طنين
والشرق ان خربت نفوس رجاله ... فلرب كنز تحتها مدفون
قد كنت ابخل بالقريض وانني ... ايعزُّ عندي اللوءلوء المكنون
فاريتني ديوان مجدك خالداً ... فخلا لاشعاري به التدوين
شعرٌ افاض عليه نورك مسحة ... فكانه صور بها تلوين
ما ان يقاس به سواه وليس في ... سلك الزبرجد ينظم الزيتون
كثرت ظنون المادحين فقولهم ... ظنٌّ وهذا المدح فيك يقين

الباب الخامس

في الغزل والنسيب

وقال

حرّمت يا ليل علينا المنامْ ... أما كفى الهجر وَبرْح الغرامْ
مهلاً ابث البدر وجدى وقف ... لا ينقلَ الواشون عنا الكلامْ
واملك سبيل الصبح فالحي ان ... ناحت حمامٌ حسبوني الحمامْ
يا ليل بى همى وظلم الورى ... وأنت والهجر وكلٌّ ظلام

أراك للعشاق قبرًا فهل ... فيك من العشاق الا عظام
رُحماك يا ليل ورُحماك بى ... وألف رُحماك ودعنى أنام
عسى يوافى طيفها مضجعي ... فتسمح اليوم ولو بالسلام
اءوّاه من سقم الهوى والهوى ... إن قلت أوّاه يزدني سقامْ

وقال

يعارض المتنبي في غزل احدى قصائده ونزع فيها الى بعض امانيٌّ نفسه

تعالي وان لم تُجملي فترفقي ... بحسبيَ أناّ ساعة الموت نلتقي
وان شئتِ أن أبقى وقد اهلك الهوى ... ذويه والاّ فأمرنيَ ألحقِ
فديتكِ أحيي او اميتي فانها ... حياةٌ متى ما جدت بالوصل تُخلَقِ
وقد كنت لا أرضى بدنيا عريضةٍ ... فلما دنا يومي رضيت بما بقي
وما حيلتي ان لم تكن ليَ حيلةٌ ... وهل بعد ما ترمين لحظك أتقي
خفي الله ما اقوى على كل نظرة ... والا تخافيه فرحماك واشفقي
الم يكف ان كانت خدودك فتنةً ... لنا فتزينين الخدود « ببشمقِ »
وزدتِ فتون الجيد حتى تركتني ... اءموت على نوح الحمام المطوّق
وقد بعثت عيناكِ في الحلي نسمةً ... فكيف انثنت عنه المعاطف ينطقِ
والقت عليه من غرامك مسحةً ... فما انفكّ مصفرًّا حذار التفرقِ
وتبعــده ثدياكِ ثم تضمه ... كداءب الهوى في العاشق المتملقِ
تعلمت منه ما تُوَشيّ يراعتي ... وما كل شعر بالكلام المنمقِ
وما القول الا الحظ اكثر من أرى ... يظل به يشقى ولما (يُوفقِ)

فان يحسدوني شيمةً عربية … فيا رب فحل ان هدرت يُنوّقِ
وما لهمُ هاموا وما عرفوا الهوى … فقولي لمن لم يعرف العشق يعشقِ
وذي عذلٍ لما مررت اشار لي … فقلت له ناشدتك الله فارفقِ
ارى الروح سهماً بين فكيك مودعاً … فان تتحرك هذه القوس يمرقِ
وداريته حتى اذا قال ابعدت … عن العين قلت الآن فاسكت او انهقِ
وما الليث اقوى مهجةً غير أنني … متى أبصر الغزلان يمرحن افرقِ
ولي قلم كالغاب ما زال مُرهفاً … ولكن متى ما مسه الدمع يُورقِ
وما انا من يطوي على الهم جنبه … ولكنّ شيئًا ان عرى البدر يمحقِ
رُوَيدكَ لا تقضي علي فربما … رايت بريق التاج يوماً بمفرقي
وما اخرتني في بني الدهر شيمةٌ … بلى ومتى اطلقت للسبق اسبقِ
ومن كان ذا نفس ترى الارض جولة … فلا بد يوماً للسموات يرتقي
ومهلاً أضيءُ آفاقها ثم انطفي … كما انطفأت انفاس حبك رونقي
اليس ليَ القول الذي ان نظمته … او انتـــــثرت حباته يتالقِ
وحسبك قلب بين جنبيّ شاعرٌ … متى هجست افكاره يتدفقِ
ولن تجدي غيري يقول اذا بكى … « لعينك ما يلقىَ الفؤاد وما لقي »

وقال

في الشفاه اللعس ما يشفي الالمْ … ودوا القلب فمٌ من فوق فمْ
عقد الحب « شروطاً » بيننا … وفمي « امضى عليها وختم »
وارى ذا الحبّ سرًا فاشفا … هُ على كتمانه تعطى القسمْ
بابي هذا الجمال وابي … لم يلدني لسواه لم ولمْ

يا امير الحسن ما تأمرنا … كلنا في دولة الحسن خدمْ
اترى كُوّنت من كل دمٍ … فلذا حنّ اليك كل دمْ
ولِمَ الصد اما آن لما … شتّت الهجران مني ان يُلِمّْ
نحمد الله فان الشمس لو … فعلت فعلك عشنا في ظُلَمْ

وقال

ايك العصافير والدنيا عليّ اسىً … أما تُروّح عني بعض أحزاني
لي فيك عصفورة لو أنها انطلقت … رأيت كيف يعاد الميت الفاني
ما صوّر الناس في الاملاك أجنحة … الا غداة بدا منها الجناحانِ
فويح قلبيَ ما من مرة صدحت … الا شعرت بقلبي بين آذاني
وويح عذالها ما في جوانبهم … قلبي فمن أين يحكي شأنهم شاني
أنا اذا عذلوا عان وان عذروا … فان وان حكموالي او لها جاني
والحب روحٌ لاهليه فعندهمُ … هذي الحياة وهذا الموت سيّانِ

وقال

وقد استيقظ يوماً فاذا بجفنه رمد

زار الخيال فحيّاني وأسندني … يدٌ على القلب والاخرى على الكبدِ
ومر ليل هوىً ما كان أهناه … لو لم أقم منه الى الأبدِ
وحين ايقظت عيني في الصباح بكت … وعاقبتنيَ في جفنيّ بالرمدِ

وقال

يا من تباعد عني … حفظت في البعد عهدك
فكيف حالك بعدي … قد ساء حاليَ بعدَكْ

يا ليتني كنت خالاً وكنت الثم خدكْ
وليتني كنت ثوباً وكنت ألمس قدكْ
وليت طيفك عندي وليت طيفيَ عندكْ
ان كنت ترضى فهبني يا سيد الناس عبدكْ
فما لي الحب وحدي لكن لك الحسن وحدكْ

وقال

في معنى عرض له

جرحتني بالقول لكنني اري شفار الجرح في الجرح
فكم سباب بين اهل الهوى يكون تذييباً الى الصلح

وقال

قاسوك يا شمس الضحى بالبدر ظلماً والهلالِ
ورأوا عيونك فاستها موا بالغزالة والغزالِ
يأبى جمالك ان يقا س وانت مقياس الجمالِ

وقال

عذرت فؤاداً رآك فطارا كذا الطير اما لمحن النهارا
ودمعاً على نفح ذكراك يهمي كما هاجت النسمات الشرارا
نشرت على الليل منه شعاعا كما تنشر الشمس منها النضارا
تداعت ضلوعي وعند الحريق يهدم اهل الديار الديارا
ولما احسّت بذاك الدموع أبين من الرعب الا فرارا
وابصرها العقل مستنفرات فمد جناحيه خوفاً وطارا
ولا عجبٌ ان تراني على تقلب (هند) عدمت القرارا
فلو ان للارض قلباً يحب لما أبصر الناس فيها جدارا

(وهند) على ما بنا لا تبالي وحبك يا هند ليس اختيارا
اذا ما هجرتِ عذرنا الدلال فليس دلالك الا اعتذارا
وفي الحب شيء يسمونه نفارا وما تتركين النفارا
كأن الجمال باعمارنا يطول ليصبحن منه قصارا
وما يربح الحسن ان لم يكن محبوه يرضون منه الخسارا
لماذا تجافين يا هند عني هبيني ظلا وراءك سارا
هبيني نسيما تلطف يوما فحرك من جانبيك الازارا
هبيني اشعة شمس الاصيل نور يغادر خديكِ نارا
هبينيَ من قطرات الندى اذا ما انتثرن عليك انتثارا
هبيني اخا (وهبينيَ طفلا) هبيني فتى (وهبيني جارا)
هبينيَ من بعد هذا وذاك غبارا على قدميكِ استثارا
واقسم اني لاطهر نفسا وأصفى غراما وأسمى وقارا
تقي الله اني رأيت الجفون تعلم نفسي لديك انكسارا
وعودتني ان اخاف الانام وما كنت احذر الا الحذارا
وحملتني من خطوب الزمان بما لم يدر فلك حيث دارا
اصيخي الى الحلي اني ارى السوار يناجي بامري السوارا
متى ما سمعت رنين الحليّ فان لهن بشأني سرارا
ولا تفزعي من حفيف الثياب يناديني اذ ملان انتظارا
على ان قلبي لها حاسدٌ فيا ليته كان فيها (زرارا)
ويا ليتني وانا كالخيوط نسجتُ لهذا القوام ازارا
متى قلت (يا ليتني) مرةً لامر توجعت منها مرارا
علمت من الثدي ما تضمرين فقد وقف الثدي حتى اشارا
فحسبي البعاد وحسب النجوم اذا ما بدا صبحها ان توارى

وقال

أأنا البريء ولم تبرح تعذبني فليت لي بين ابناء الهوى فادي
اهكذا ظبية الوادي التي ذكروا ام الظباء بواد وهي في وادي
رحماك يا ربِ عجل بالممات اذا قدرت ان لهذا كان ميلادي

﴿ وقال ﴾

﴿ في النحول ﴾

لا تعجبي ان ترَيْ   جسمي نحيلا يشفُّ

وكان ماء الصبي   عن سقيهِ لا يكفُّ

عرضته للهوا «ى»   فماله لا يجفُّ

﴿ وقال في مثله ﴾

لا تلوميني على السقم   فذا طرفك اسقَم

انت علمتِ فؤادي   فيك كيف يتألَّم

فرحمت الحب مني   وأراه ليس يرحم

ان هذا الحب ضَيف   وقراه اللحم والدمْ

﴿ وقال ﴾

قرَّح الجفن وادمى كبدي   ان شملي في الهوى تشتتنا

فاذا اثبت اني عاشق   لم يدنني عندها ان اثبتنا

ويلتا مما جنى الحب وكم   من يقولون معي يا ويلتنا

﴿ وقال ﴾

﴿ في المكاشفة ﴾

ان لم يكن عندك ما عندنا   فمن رمي الخصر بهذا الضنى

مالك تخفين الهوى والهوى   يقول من عينيك لي ها أنا

وتلك انفاسك نمَّامةٌ   وبين نهديك ارى مكمنا

حسبيَ ذا الوجهُ والونه   وما دليلُ الشمس الا السنا

كُفي ظنون الناس واستنكفي   ان تجري الالسن يوماً بنا

الا ترين الطيْر في راحة   من يوم امسي بالهوى معلنا

وما كتمنا اذ كتمنا الجوى   الا كما تخفي الغصون الجنى

والحب في الصدر بخار اذا   حبسته هُنا جرى من هُنا

كلا فؤادينا امتلا بالهوى   وفاض حتى ملأ الأعينا

واي ذنب للاناء الذي   يفيض ان انت ملأتِ الاءنا

لاتعجبي مما يُنتِي الهوى   ما في يد العشاق الا المنى

قد نال بعد العشق اطماعه   من نال بعد الكيمياء الغنى

(وقال)

﴿ في دلال الحسان ﴾

نفرةٌ ثم تعطف الحسناء   وقصارى ابائهن الرضاء

وذوات الهوى يصلن ولكن   من حقوق الوصال هذا الجفاء

تأبى وانما لذة الحب   اذا كان في الحبيب اباء

ما يشين الوصال ان التجافي   في حواشيه نقطة سوداء

واذا الخال كان في الخد حسناً   فتمام الملاحة الخُيلاء

غضبٌ بعده الرضا وكما مر   مذاق السقام يحلو الشفاء

ان في الحسن للحسان لعذرا   فاسلبوا المال يسمح البخلاء

اوَ لا يُعذر الجمال اذا ما   نظرت في مراتها الحسناء

سائليها يا ربة الحلي عني   الداء الفؤاد منها دواء

واذكري اننا الى اليأس نرجو   ومن اليأس قد يكون الرجاء

اوَ ليس السماء يأتي عليها   كل يوم صبح ويأتي مساء

وضياء النهار فيها ابتسامٌ   وظلام المساء فيها بكاء

(وقال)

فتكت في الناس اعينها   وعيون الناس تنهبها

ما يناجي اذنها نفس   صائد الا ويطربها

وانثنت عجباً فلست ترى   عاشقاً الا ويعجبها

كل رجل في تنقلها   تحتها قلب يقلبها

(وقال ايضاً)

قالوا جفتك ولا تنفك تذكرها   ان النصيحة سلوان بسلوانِ

فقلت عيني مني وهي ان رمدت   فلا يكون دواها كحل عميانِ

نأت دنت وصلت صمت نفت هجرت   في كل ذلك اهواها وتهواني

والحب كالدين يرضي المرء مذهبهُ   وبعده الناس في كفر وايمانِ

وقال

ابيت وجنبي ليس يحويه مضجع … وبعض الذي القى من النوم يمنع
تقلبني الاشواق وخزاً كأنني … بكف الهوى ثوب رديم يرقع
ولي حاجة في السهد والسهد قاتلي … بدمعي وبعض الموت في المرء ينقع
فيا ايها النوام ما لذة الكرى … اما لكم مثلي فؤاد واضلع
وكيف تنام العين والقلب موجع … وانى يصح القلب والحس يوجع
كأن الهوى نور كأن بني الهوى … كواكب اما جنها الليل تلمع
وما انفك نور الحب في كل كائن … ولكن لامر بعضه ليس يسطع
وما كل مصباح بذي كهربائة … ولا كل انسان راى الشمس يوشع
ويا شد ما القى من الحب وحده … فكيف وفي طبع الحبيب التمنع
هل الحب الا ما ترى من فضيحة … وما المسك لو لا انه يتضوع
كأن فؤادي شعلة قد تعلقت … بجسمي وطبع النار في العود تسرع
وما انا وحدي من يقولون عاشق … ولكنني وحدي الذي يتوجع
وفي كل عين ادمع غير انني … لعيني من دون المساكين ادمع
أعينيّ ما دمعي عليّ بهين … فكم ذا وكم ذا تجزعين واجزع
كانك في كل القلوب فمن بكى … بكيت له والحر بالناس يخدع
احاطت بي الارزاء من كل جانب … كأن الرزايا تحت جنبي مصرع
كانيَ في الآمال زورق لجة … اذا احتملته كان للخفض يرفع
وما كل من تحنو على الطفل امه … ولا كل من تدنيه للثدي مرضع
فهل ترجع الدنيا كما قد عهدتها … وهل ما مضى من سالف العمر يرجع
ولي في الهوى شمس اذا هي اشرقت … رايت بها سحب الاسى كيف تقشع
ولكن لحظي كان حظيَ ليلها … ومن ذا يخال الشمس في الليل تطلع
كلانا به وجد ولكنه الهوى … دلال وهجران ويأس ومطمع
فان استبن ما اصنع اليوم انني … غد بالذي لم استبن كيف اصنع

وقال

عجبت لاهل الهوى انهم … يعيشون موتى بارماسهم

سكارى بكاس سقت آدما … وما انتقص الدهر من كاسهم
كان الهموم بانفاسهم … تكون ويا حر انفاسهم

وقال

أعرنيَ عينيك يا عاذلي … لعلي أرى الحق كالباطل
فعيني قد انصبغت بالفؤاد … كمثل الزجاجة والسائل
كلانا يراها وهيهات ما … توجع بالثكل كالثاكل
ولو كان للصيد عين الذي … يصيد لما اغتر بالحابل
هويت واطعمت جسمي النحول … فويلاه من شره الآكل
كأن ثيابي عليّ الربيع … كسا جانبيّ بلد ماحل
كأن عيوني بموج الدموع … خضم له الجفن كالساحل
كأني ودمعيَ في مقلتي … ارى كفني في يد الغاسل
ليَ الله هل انا الا فتى … اجد ودهريَ كالهازل
ومن ساد في قومه الجاهلون … اضرت به شيمة العاقل
كأن الزمان بقايا دجى … انا فيه كالقمر الآفل
نزلت على حكمه طاعة … لوحي على مهجتي نازل
ومن كان قاضيه من يحب … راى جائر الحكم كالعادل
يعيبون فيها نحولي فلم … يرى النجم في الافق كالناحل
وكيف يعاب الحسام الصقيل … ارقت شباه يد الصاقل
مهفهفة فكان الهوى … يحاربنا بالقنا الذابل
واعجب من املي وصلها … وبعض المنى قاتل الآمل
لها مهجتان تحب وتسلو … وما تحت ضدين من طائل

وقال

يبث الشوق ويخاطب الحبيبة وهي نائمة والقمر مطلع عليها ويتخلل ذلك شيء من الوصف

مكانك يا بدر وان كنت واشياً … لعلك تروي عندها بعض ما بيا
مكانك يا بدر لاشكو حبها … وتشهد عند الله ان كنت رائيا
مكانك لا تعجل لتحضر ساعتي … فاني ارى ساعات عمري ثوانيا

ويا بدر خذ عيني فذلك سريرها   وتلك وان لم ادعها باسمها هيا

اغار عليها ان تقابل وجهها   فتتقال عنه للوشاة معانيا

واخشى عليها من شعاعك مثلما   يخاف على النفس الجبان المواضيا

فاني ارى جسماً لو ان مدامعي   جرين عليه اصبح الجسم داميا

وما عجبي الا من البدر يدعي   تمنع ليلى ثم القاه عاريا

***

فيا بدر اني موضع الصنع فاتخذ   يداً لك عندي تلقني الخير جازيا

وذي قبلة مني اليها فالقها   على فمها وارجع بانفاسها ليا

وان لم يكن في الحسن الا عواذل   فيا بدر كن خيراً عذولاً وواشيا

اذع حسنها في كل افق تنيره   وقص علينا ما حيينا اللياليا

كان الهوى قد خط قبل وجودنا   كتاباً على ما يلبث الكون باقيا

له البدر عنوان وقد امست السما   صحائف فيه والحروف الدراريا

قضى الله ان ابلى فصدت بحكمه   ولو واصلتني لم اكن قط باليا

واني قسمت الروح شطرين واحد   بجسمي وشطر عندها لا يرانيا

ولا بد من يوم تعود لاصلها   فاما بوصل بيننا او تنائيا

ولم ار غيري بعضه خان بعضه   فاصبح مشغولاً واصبح خاليا

بربك يا نفسي وربك شاهد   اتهنئة كان الهوى ام تعازيا

وهل ذكرتني هند يوماً فاشفقت   لما بي وحاكتني بكا او تباكيا

وهل حدثتها نفسها انني بها   شديد الهوى او انني بت ساليا

يكاد يفيض القلب من ذكرها دماً   لاكتب منه في هواها القوافيا

وتذهب نفسي حسرة ان رايتها   واصرع وجداً كلما قلت «آه يا ..»

ولو انني ارجو لهانت مصايبي   ولكن منها انني لست راجيا

فيا من تجير النوم مني جفونها   اجيري اذن من ذي الجفون فؤاديا

تحرم عني ما لعينيك مثلما   تجنب مولاها العبيد تحاشيا

واقسم لو تبكين يوماً من الهوى   لما كنت اجلالاً لجفنيك باكيا

اما لي عذر في الغرام واعيني   ترى كل شيء فيك للحب داعيا

وقد رفعتك الناس حتى ظننتهم   لاجلك يدعون النجوم جواريا

وكم اتصابى فيك حتى كانما   وجدتك حسناً محات تصابيا

فلو سالوني عن اماني لم ازد   على ان تحبني والخلق ثانيا

وقال

هذا الموشح في معنى اقتضاه

الصبر لا يجدي * من بعد ذا البعدِ

مع الملالْ

واليس للصدِ * وحرقة الوجدِ

سوى الوصالْ

من الهوى ياما اشد الهوى

وذا الجوى ياما امضّ الجوى

قتلت نفسي والغرام انطوى

مذ نقضوا عهدي * واخلفوا وعدي

بذا المطالْ

وكنت ذا حدِ * فصرت كالغمدِ

لدى النضالْ

وبي ظما ويلاه من ذا الظما

وقد ارى الماء ولكنما

قولي يا ليت ويا ليتما

مسعّر كبدي * فلم انل قصدي

ولا انالْ

وحفرة اللحد * انزلها وحدي

بكل حالْ

وقال

انحلوني واسقموا   حسبيَ الله منهمو

ايُّ ذنب جنيت حـ   تى به اليوم أعدمُ

انا يا حسرتي انا   لم اكن قبل اعلمُ

كانت العين تاخذ الـ   ـسر والقلب يكتمُ

وتوهمت كل شيـ   ـء فساء التوهمُ

قلت ذا الحب جنة   فاذا هي جهنمُ

يا فوءادي أبعد ما   قُضيَ الامر تندمُ

مقلة تبعث العتا   ب واخرى تسلمُ

في محيا غدا يشيـ   ـر الى خده الفمُ

وَلكم يحجب الذي   في القلوب التبسمُ

وعلى البحر يضحك الـ   ـموج والقاع مظلمُ

آه هيهات ما لما   تجرح العين مرهمُ

لم يُصَب قط بالهوى   عاشق ثم يسلمُ

وقال

يا للغرام ويا لعز بناته   لِم لا يذل فتى الهوى لفتاته

خلقت ذُكاء منيرة والبدر لو   لاها لظل الدهرَ في ظلماته

وبنوا الغرام اثنان تلك حياتها   ثمر تعلق في الهوى بحياته

كالزهر في اغصانه والنجم في   آفاقه والدر في صدفاته

ان القلوب كاهلها ذكر وانـ   ـثى كل قلب فيه من شهواته

واذا تزاوجت القلوب رايتها   مثل الانام تئن من حسراته

والقلب يحمل في النساء وانما   ولد الفؤاد يكون بعض صفاته

ولذا تفاوتت الحسان فهذه   اخت الوفا والغدر شيمة هاته

والحب اشهى ما يكون اذا الحبيـ   ـب ابى عليك القطف من ثمراته

انَّ النفوس لما مُنعن شديدة   ظمأً ويُنسى الماء عند فراته

«يامري» زيديني هوًى فهواك نو   ر لم ازل اسرى على مشكاته

وارى الحياة عليَّ ليلاً دامساً   ضلت نجوم السعد في طرقاته

احيي فوادي ليس مثلك من يَدي   عز القتيل فاهوني بدياته

ها انت مريم والهوى عيسى وعيـ   ـسى كان رد الروح من آياته

قولي لكاهنك الذي قدسته   قولاً وعودي فاسمعي لصلاته

فلسوف يزعم انها في آية   نزلت من الانجيل او توراته

يرجو ويامل ان تباركه يدا   ك وكل قومك آملٌ بركاته

واذا دعى عند الوفاة لدعوة   يدعو بان يلقاك عند وفاته

شغلته غفلته فلست بلائم   والشيخ معذور على غفلاته

واهاً لهذا الحب لو يعرف الوليـ   ـد الحب لاستعصى على داياته

شيء يحار المرء فيه لانه   من ذاته جلب الشقاء لذاته

ما كان ابعدني وقولي في الذي   آتيه يوماً ليتني لم آته

لكنَّ حالات القضاء على الورى   شتى وهذى الحال من حالاته

اترى المريض اشتاق وجهَ اساته | ام كان يشجي الميت صوت نُعاته
يا قوم ما لي حيلة واليوم قد | دنف الهوى والطير عند شتاته
هيهات ابصرها وابقى بعدها | فالنجم نور الشمس من آفاته
ولأن ترى ذا الصب في الاموات خيـ
ـرٌ ان يراها الصب بين وشاته

وقال

في القبلة المكتومة

بليت بهذا الحب احمله وحدي | وكلٌّ له وجد المحب ولا وجدي
هي الحسن في تمثالها وانا الهوى | فلا عاشق قبلي ولا عاشق بعدي
وفي كل واد للغرام بشاشة | فشاني في (باريس) شاني في نجدِ
ولم انس يوماً جئتها ذات صُبحة | عليلا كما هبَّ النسيم بلا وعدِ
وكنت وكانت والدلال يصدها
فتبدي الذي أُخفي وتخفي الذي ابدي
وما زلت حتى كاتمتني قبلةً | على حذرٍ حتى من الحليْ والعقدِ
وكنا كمثل الزهر يلثم بعضه | ولا صوت للنسرين في شفة الوردِ
وكان فمي فيه اليها « رسالة » | فسلمها فاها وحُمّل بالردِ
اذا لم يكن عند الحبيبة لي جوى | فقولوا لماذا لا يكون الجوى عندي

وقال

على الطرسين من خد وجيدِ | ارى سطرين في معنى الصدودِ
وقد سدلت غدائرها تريني | تبدل بيض ايامي بسودِ
وقطعني الاسى و الدمع بحر | فعاد بسيط همي في المديدِ

ولما امصدت قلبي بلحظ | علمت بانه بيت القصيدِ
لها دينٌ ولي دين ولكن | ارى القلبين في دين جديدِ
وكم من ليلة مرت وافق النجوم | كجيدها تحت العقود
وقد وقف الدجى فزعاً يصلي | وظلمة ذنبه ملء الوجود
وانفاس النسائم كهرباء | توصل بين قلبي والخدود
وقد سمعت اللحاظ بما اردنا | توكدُ بيننا صدق العهود
فكم لحظ وكم نَفَس تراذا | « تلغرافاً » وذا « ساعي بريد »
فعدت ارى النعيم ولست فيه | كمثل الغصن شُبه بالقدود
فلا اهلاً بايام التجافي | ويا ايام ذاك الوصل عودي

وقال

ليت اهل الغرام ما عشقوا | بل ليتهم قبل ذاك ما خُلقوا
اني وجدت الحياة سائغة | كالماء لكن لها الهوى شرقُ
ومن يجد عاشقا يعيش فما | ينجو القتيل الذي به رمقُ
وكيف يبقى العود الذي علقت | باصله النار وهو يحترقُ
يا قمرا في الفؤاد مطلعه | ومن سُوَيدائه له غسقُ
ان تلق في مهجتي سواك فما | يريك غير الكواكب الأُفقُ
كان زمان كليلة حلكت | هواك عندي لصبحها فلقُ
وانت وردي فما يعيبك ان | ينبت يا ورد قبلك الورقُ
انبتك الله مثمرا شغفا | وهذه اضلعي له طبقُ
يارب ان القلوب قد ضعفت | عن فتنتين الخدودُ والحدقُ

وقال

لا يحمل الصدّ منها والهوى بدني ... ولا اطيق بلايا الحب والزمن
جسم تراه فلا تدري امشتمل ... بالثوب ام درجوه منه في كفن
يكاد يوم التناجي ان يُطيّره ... مرّ الهواء مع الشكوى الى الاذن
لولا الحبيب وقصدي ان يبين له ... يريه ما فعلت عيناه لم يبن

وقال

تعاتبنا كان القلـ ... ـب عند القلب في شكّ
والسنتنا صوامت والـ ... ـعيون لبعضها تحكي
فقالت انت كالاطفا ... ل خلو القلب من شرك
ففاض بمدحها دمعي ... ونطق "الطفل" ان يبكي

وقال

وشى العاذلون باني سلوت ... وان الجفون الفن الرقادْ
فلما راتني من خدرها ... اشارت لقلبي بالابتعادْ
وهزت ستارتها باليدين ... تُعلمني كيف خفق الفؤادْ

وقال

ساترة والبدر لا يُنقبُ ... وليس الا في القلوب تحجبُ
تغرب في القصر ومنه طلعت ... فقصرها مشرقها والمغربُ
هو السماء وهي بدر حولها ... من كل قلب يتلظى كوكبُ
ولا أقول شعرها ليل وحا ... شاه فتحت الليل صبح اشيبُ
ولا أقول وجهها شمس ومثل الشـ ... ـمس عندي فحمة تلهبُ

ولا أقول خدها نار فان ... كل نار تنطفي وترطبُ
ولا أقول ثغرها درٌّ فان الـ ... ـدرّ في ايدي الرجال يُثقبُ
ولا أقول قدها غصن فان الـ ... ـغصن كيفما يكون حطبُ
تبارك الله الذي صورها ... عجيبة يحار فيها العجبُ
انبتها فينا نباتاً حسناً ... ومن أماني النفوس تشرب
فللهوى في كل قلب مورد ... وللهوى من كل نفس سبب
ابيت كالملسوع من قولي آ ... هِ انما قوليَ (آه) عقرب

وقال

في معنى

اقول لها اذ ساءلت كيف حالتي ... أقل مصابي لوعة أكلت قلبي
وعندي وما عندي وهل تجهلينه ... وأنت التي علمتني شغف الحبِ
حنانك يا أخت العصافير خفةً ... ويا ضرة الطاووس في التيه والعجبِ
ويابانتي ميلي ويازهرتي انفتحي ... ويانسمة الاسحار في روضنا هبي
فمالت تعاطيني من الثغر كوثرا ... حسبت به حور الجنان الى جنبي
فيارب حسبي ما مضى انما الدنا ... عذاب وهذي روح عبدك ياربي

وقال

تنادت حرامٌ ان أقبّل ثغرها ... فقلت اذاً فالدر يحرم لثمه
فقالت وخدي قلت ياحسن ما أرى ... متى حرم الورد الذكيّ وشمه
فقالت وهل صار العناق محرما ... فقلت وهل غصن يحرم ضمه
داعي الحب يحكم في الدنا بين أهله ... ومن بعدها يا هند لله حكمه

وقال

بي حبيب مسَّ عقلي   فاصاب العقل مسُّ
أترى يرجع قلبي   ومتى يرجع أَمسُ
ليت لي نفسين ان أَهـ   لك نفساً تبق نفسُ

وقال

اشكو لها الحب ظنًّا ان سيعطفها   والحب يمنعها ان تسمع الشاكي
يا هند ما كان لي أمسى عليَّ اذنٌ   يا ليت ما كان لا هذا ولا ذاكِ
ولدهر جنبان ما ينفك منقلباً   حينا وحينا كما تغريه عيناكِ
يا هند حبك نهر العاشقين فمن   راى اذنٌ نهرًا من غير اسماكِ
رحماك قاتلةً رحماك فاتنة   فالناس في ذا الهوى ليسوا بأَملاكِ
يا هند ما نظرت عيناي في جسنٍ   الا تبيَّنت معناهُ بمعناكِ

وقال

اتاني بعد فرقتنا سلامٌ   فكيف وعذَّلي حوني اتاني
تقول أأنت لا تنفك حياً   تعاني من هولنا ما تعاني
كفى هجرا فقد اصبحت نضوا   تمربي العيون ولا تراني
ولو هب النسيم علي يوماً   لزحزحني وربكِ عن مكاني
وها انا حين انظم فيك شعرًا   اكاد اكون فيه من المعاني
لو ان الحور مثلك في جفاء   لصد الناس عن طلب الجنانِ

وقال

ما اوجب الاعراض بعد الذي   قد كان من وصل وايناس

اراك في الهجر كأني ارى   باعين ما كنَّ في راسي
فهل لقلبي فيك من حيلة   وهل على قلبك من باس
ان تشبه الورد فاني من الـ   هوى عرتني هزة الآس
ينبئني لحظك ان الذي   سبَّب هذا قلبك القاسي
فانت تخفي السر لكنما   تظهره عيناك للناس

وقال

ان تجد قلباً كقلبي   تلق حبًّا مثل حبي
انت تصبيني فمالي   لا أرى اول صبِّ
تقاسمنا لك الجنا   ت والنار لقلبي
مر بما شئت فغير الـ   حب عندي غير صعب
وتدلل وتمنع   أَول الوصل التأبي
انا في قربي وبعدي   قاتلي بعدي وقربي
يا ترى كيف امنا   ك وقد جئت لتسبي
ترفع (الطربوش) في   اهل الهوى راية حربِ
والهوى للقلب فخ   بخدع الطير بحبِّ
ما خطت رجلك الا   بان لي مصرع جنبِ

وقال

في مليح كأن في روضة

رأيناه يخطر في روضة   كأنْ قد تعلم من بانها
فكانت به جنة العاشقين   وكان فؤادي كرضوانها
وماسمي الروض باسم الجنان   لو لم يكن بعض ولدانها

(وقال)

واذا قرىء كل بيت شطرة كان من العروض الاولى من المتدارك وهو (فاعل) اربع مرات

شفَّني بُعد من لم يأن قربه
شادنٌ لم يزل قاسياً قلبهُ
ان يقولوا له مضَّه حبه
قال عذري الهوى والهوى ذنبه

وقال

من الضرب الثاني من العروض الثالثة من الخفيف

ان يكن طبعاً ان تمنوا فقدْماً مُنيتُ
او رأيتم ان لا تعينوا فاني عنيتُ
او رغبتم ان لا تبالوا ففيكم بليت
ما اراني احيى كذا فاسمحوا لي اموت

وقال

انا عن مخاطبة العوا ذل كالمصلي قد نوى
الا ما يذكرون سواه قلت جل عن السوى
والله لولا مقلتا ه لما تعلمنا الجوى
والقلب لا يهوى سوى من كان علمه الهوى

(وقال)

في مليح كان في (محطه)

ملأت (المحطة) بالعاشقين فهذا يغير وذاك يَغارْ

وقلبيَ مما تمزق أضحى كان عليه يمرّ القطارْ
بربك ما ذا فعلت بنا ومالك عند ذوي الحب ثارْ
قتلت وأحرقت حتى القطار يسير وفي (قلبه) منك نارْ

﴿ وقال ﴾

أشار لي بسلام ومقلتاه بحرب
فما رفعت يميني حتى هوت فوق قلبي

﴿ وقال ﴾

أنا ان قلت أنا عبد هذا السيدِ (١)
ولهُ الأمر فما شآء مني يجدِ
ويرى قتلي لأني صرت من ملك اليدِ
كسليمان لهُ حل ذبح الهدهد

﴿ وقال ﴾

شكوت ما بالقلب من لوعة ومن جوى يا ما اشد الجوى
فمال باللحظ ولما رأى وجدى ثناه في يديَّ الهوى
والظبي إما كعسلت عينه تشبه الجيد بها فالتوى

---

(١) لا يقول الانسان أنا من غير أن يسند اليها شيء الا في الفخر كأن يقول ها أنا وأنا أنا الخ وهدهد سليمان هو الذي فقدهُ لما تفقد الطير وقال لأذبحنَّهُ أو ليأتيني بسلطان مبين فجآءه سباء بنبأٍ ولكون المفسرين قد خلطوا في مثل هذه القصص حتى ان بعضهم بحث فيما اذا كان هدهد سليمان ذكراً او انثى تحاشينا ايرادها وانما العلم عند الله

﴿ وقال ﴾

يا غريب الدار إن ... الدر أَعلاه غريبُه
إن تكن غبت فان ... البدر قد طال مغيبُه
فاطوِ أيامك وارجع ... يُبرئ القلب طبيبُه
إنما حظ الفتى من ... هذه الدنيا حبيبُه
قد شطرنا الدهر لي ما ... مر لكن لك طيبُه
ونصيب المرء مما ... قدّر الله يُصيبه

الباب السادس

في الاغراض والمقاطيع

(قال)

في معانٍ مختلفة من الغزل والحكم

على الشمس من نسج الغمام ستورُ ... كما للغواني كلّة وسريرُ
وتحجب ذات الحسن لكنّ حسنها ... يدور بأهل العشق حيث يدورُ
وبعض تكاليف الصبى يبعث الأسى ... فكيف وأسباب الغرام كثيرُ
وفي كل حسن موضع الذكر للذي ... يحب فما يسلو الغرام ضميرُ
أراني اذا القيت للشمس نظرةً ... كأني الى وجه الحبيب أشيرُ
وما رقبتي للصبح الا تعللاً ... لعل طلاع الشمس منه بشيرُ
ولي زفرات لو تجسم حرها ... لأصبح شمساً في الفضاء تنيرُ

وإني ليرضيني على القرب والنوى ... إذا فاح منه في الصباح عبيرُ
هما خطتا ذل فإما ارقوى الهوى ... وإما صبرنا والكريم صبورُ
وأَفئدة الانسان كثر طباعها ... وفي الناس أعمى قلبه وبصيرُ
واني وإن لم أَحتمل أَمر معشر ... فقلبي على كل القلوب اميرُ
وإن أَكُ بين الواجدين ابن ساعتي ... فما احدٌ بعد القنوع فقيرُ
وسيان إما أبلغ النفس سؤلها ... كبير وإن أجللته وصغيرُ
وما دامت الافلاك في دورانها ... ففيهنّ من بعد الأُمور أُمورُ
وكم ليَ يوم دارت الشمس فوقه ... وسارت عليه في الظلام يدورُ
لبست جناح اللهو فيه ولم أَزل ... أَرفُّ به حتى لكدت اطيرُ
ونال الهوى منه عرائس لذة ... لها الراح ريقٌ والكؤوس ثغورُ
زمان كأن قد كان للهو منزلاً ... فساعاته للملهيات حذورُ
أخذنا على الدهر المواثيق عنده ... فأَيامه للنائبات قبورُ
وأحسن أيام الفتى يوم لهوه ... على فطرة الأَطفال وهو كبيرُ
وإن هموم الدهر موت لأَهله ... فما كان من لهو فذاك نشورُ

﴿ وقال ﴾

بلاني الدهر بكل همهِ ... فصرت غير جازع لحكمهِ
وصار معنى الهم عندي كاسمهِ ... وهمة المرء تُرى في حزمهِ
والدهر ان مسّ سواي يدمهِ ... لكن في جسمي وقع سهمهِ
كعضة الصبي كفّ أُمهِ

﴿ وقال ﴾

في تعليل أن الدنيا لا سعادة فيها

كم أريد السعد لكن ... فوق آمالي إرادَه
كل من يطلب دنيا ... يعبد الدنيا عبادَه
ولهذا غضب الله — فكان النحس عادَه
وقضى في حكمهِ أن ... ليس في الدنيا سعادَه

﴿ وقال ارتجالا ﴾

في غادة رآها في مرسح تمضغ العلك « اللبان »

فاتنة في أضلعي ... كالشمس في برج الحملْ
إذا أماتت بالجفو ... ن فهي تُحيي بالمقلْ
كأنها لاعبة ... في راحتيها بالأجلْ
أردت أن أقول آ ... هٍ فأشارت لا تقلْ
وجعلت في فمها ... لبانها من الحيلْ
تعللت بمضغهِ ... لكي تشير بالقُبَلْ

﴿ وقال ﴾

في صاحب مضطرب متقلب وكتب بها اليه واشار فيها الى مذهب « دروين » المشهور

اقام (دَرْوين) دعوى ... ولم يجيء بشهودِ
ومرّ قومٌ فقومٌ ... وكلهم في جحودِ
لكنني بعد أن صر ... ت لم تراع عهودي
وكل يوم جديد ... تبدو بشكل جديدِ
آمنت أنك في النا ... س نسل بعض القرود

﴿ وقال ﴾

في آخر بذيء اللسان يبطن غير ما يظهر

كان ذاك الصديق فيما رأينا ... سحباً فوقها سماً سوداء
خاب فيه الرجا وليس ببدع ... كل ميتٍ يخيب فيه الرجاء
يا سفيه اللسان إن انت لم تسـ ... ـتح مني ففي لساني حياء
عجنت لي الرواة أخلاقك السو ... ء ومن طينها يكون البناء
كم حفرنا التراب من ذلك الوجـ ... ـه فقل أليس في الوجه ماء

﴿ وقال ﴾

يداعب صديقاً رقيق الحال ذكر انه سيشتري (عربه)

حسبك ان تدري يا مفلسٌ ... من عربات الاغنيا باسمها
والارض من رجليك مجروحة ... فما الذي فاتك من جسمها
إن ترد الدنيا ومن قسمك الـ ... ـفقر تكن روحك من قسمها

﴿ وقال في ثقيل ﴾

وثقيل بات في نعم ... واراني منه في نقمِ
قال ألقاك صباح غد ... يا غد عجّلت بالسقمِ
لو يقوم الميتون غداً ... لتكاسلت ولم أقمِ

﴿ وقال ﴾

تولى زمان بني آدم ... وهذا الزمان زمان القرود
وما الموت الا اصطحاب الثقيل ... ولولاه فاز الورى بالخلود

﴿ وقال ﴾

في جماعة من اصحابه

عِفتهم اذ اصبحوا … مطعماً غير مريءْ
فادعوا أن خنتهم … وأنا منها بريءْ
يشتهي الجيّد من … لا يرى الا الرديءْ

﴿ وقال أيضاً ﴾

نسيتم ودادي فلم … تزوروا ولم تسألوا
وسيان عندي فلا … أقول اهجروا أوصلوا
ومن كان بي جاهلاً … فاني به أجهلُ

﴿ وقال ﴾

في سفيه كتب اليهِ كتاباً يذمه فيه استلفاتاً له

يا أيها العائب من فوقه … أُنظر الى النجم فهل ينظركْ
أظمأت أقلامك فاضرب بها … حوافر المزن عسى تمطركْ
وجئتنا بالحلو فيما ترى … فكان ملحاً عندنا سُكّركْ
وقلت لفظي جوهر نيّرٌ … وعندنا أن الحصى جوهرُكْ
فقل لمن يقذف منشاره … في الجو مهلاً ربما ينشركْ

﴿ وقال ﴾

في رجل طويل اللحية جدًّا

يطول لحيتهُ كالحبال … فيا ليت عمريَ من طولها
كمروحة الخيش في العارضين … تطرى الهوآء بتبليلها
وقد لقبوها بست اللحى … لتعظيمها ولتبجيلها

ألست تراها تجر الذيول … فيحظى الصغار بتقبيلها
وكم بحث الناس في أصلها … وأين الوبا كان في جيلها
وكم حكموا أنها علة … وما علة غير تعليلها

﴿ وقال ﴾

في حادثة السرب المشهورة

قتل الحب يا ليالي الودادِ … فاسلمي بالقلوب والاكبادِ
مهجة تلتظي غراماً ولكن … ألف قلب يغلي من الأحقادِ
وصدور كالنار غطّى عليها … من سواد الرياء شبه الرمادِ
وهموم الحياة تخلق للقلـ … ب وأي امرئٍ بغير فؤادِ
ما أمنا الزمان الاّ كما يأ … من إبليس زاهد الزهادِ
كل يوم يصيح بالناس صوتاً … كضجيج (الساعات) في الميعادِ
أين من يأمن العواديَ والنا … س بأجناسهم ثمار العوادي
من تدعْهُ فريثما يدرك النضـ … ج ورب البستان بالمرصادِ
وقتيلٌ من كان في الغاب حياً … تتولاه أعين الآسادِ
إنما الناس ما يخلده النا … س وإن كان أمرهم للنفادِ
ان ذكر الذين شادوا وسادوا … لم يزل راسخاً مع الاطوادِ
واذا المرء أودع الأرض سرًّا … نبشت سره يد الآبادِ
إن تشأ أن ترى حديثك بعد الـ … موت فانظر الى حديث العبادِ
كم ترينا الايام من عِبَرٍ شتى … كأن الايام في استعدادِ
وأراها في عبرةٍ قد طوتها … كانطواء «المليون» في الاعدادِ

في مليك كساه أمس جلالاً فغـدا اليوم باريَ الابرادِ
كان فوق السرير فانقلب الد هر فأمسى به على الأعوادِ
وقضى العمر يوم عيـد فلما مات ضنت أيامـه بالحـدادِ
ومن الهم أن ترى عينُ باكٍ أدمع الموت غير أدمع الميلادِ
شدَّ ما يؤْخذ الظلوم اذا ما سار في الناس سيرة استبدادِ
إنما أنفس الأنام سيوف إن تُحرك سالت من الاغمـادِ
أين من كان في الثغور ابتساماً وهو اليوم مضغـة الحسادِ
أين من كان للبلاد رجاءً وهو اليوم عـبرة في البـلادِ
سطروا ذكره على صحف التاريـ ـخ من سوء فعله بمدادِ
وأرَوْه ان الفساد وإن طا ل فعقبى أُموره للفسادِ
لم يكن يجهل الرشاد ولكن عَمِي الحب عن سبيل الرشادِ
وأضلَّ الهوى هوى ملكِ الأر واح يبغي محاسن الاجسادِ
إن للتاج ربةً لا تزين التا ج إلاّ بطلعـة الأولادِ
لاكتلك التي هي الصدف الفا رغ نحساً لطـالع الصيّادِ
عذلوه فيها فكان مريضاً ساخراً بالطبيب والعوّادِ
وإذا كان للخطيئة عذر أي عذر لمخطئٍ في التمادي
أبعدوها عن القلوب فلم ير ض وصعبٌ تجاورُ الاضدادِ
هوألقى في النار فحماً فلما أجَّ لم يختطف سوى الوقادِ
ليس للملك من يسوق هواها حامل التاج مثل سوق الجيادِ
أنضجت بالحب حتى اذا ما بلغ النضج أطعمتهُ الاعادي

وأرته العينان ان بياض الـ ـلحظ قد شابه الهوى بسوادِ
جردت من لحاظها فاتكاتٍ جرّأت كل تلكم الاجنادِ
ليتها حين لم تقده لمجد لم تخـلّ الزمام « للقوّاد »
ليتها حين أسهرته عليها ما جزته بمثل هذا الرقاد
قتلته ببغيهـا وتلته وأرى البغي جامعاً كالودادِ
أي أيدٍ قد بدلت ذلك الدر بحب الرصاص فوق الهوادي
أوَ ما خافت الكواكب ان تسـ ـقط من غيرة على الاجيادِ
ما لتلك اللحاظ وهي حدادٌ أصبحت في العدو غير حداد
لم تؤثر في قلبه نظرات ربما أثرت بجسم الجمـادِ
قتلوا ظبية القصور ولكن قتلة الصائدين حية وادي
حسبوها فأرا وهم قطط البيـ ـت فلم يأكلوه قبل الطرادِ
وكذا يقـدم اللصوص إذا ما أبصروا الرأس مال فوق الوسادِ
ما أرى هذه الشهامة الاّ حمقاً من فظاظة الاكبادِ
عربدوا في الدم المراق وما الوحـ ـش اذا اغتال يترك الدم بادي
وكذاك اليهود من قبل عدوا يوم صلب المسيح في الاعيادِ

﴿ وقال ﴾

في كتاب حبيب

بأبي الذي كتبت يداه تحيتي وكسا الكلام بنعسة الأجفانِ
وأرى محاسنه على الفاظه ودموع عينيه على العنوانِ
وكأنما كان اللسان يراعه ومداده من مهجة الولهانِ

فكتابهُ عندي وكتْبي عنده　　غَنجُ الحبيب وآهة الثكلانِ

﴿ وقال ﴾

هذا كتابي قد جعلت مداده　　عيني وأقلامي ضلوع تخفقُ
حمّلته شكوى اليك جمعتها　　من كل قلب في البريّة يعشقُ
أو لا تراه يئن من ألم الجوى　　ويكاد بالشوق المبرّح ينطقُ

﴿ وقال ايضاً ﴾

بعثت قلبيَ بين السـ　　ـطور حتى يراكا
عساه يلثم كفيْـ　　ـكَ أو يقبل فاكا
فان تأخرت بالر　　د ذقت منك الهلاكا

﴿ وقال ﴾

في المعنى الاول

قرأت الكتاب فكان الفؤاد　　كأنك تلمسهُ باليدِ
وقبلتهُ ثم أدنيتهُ　　من القلب كالعين والإثمدِ
فطار به طيب أنفاسكم　　الى أن تعلق بالفرقدِ
وقلت لعيني انظري للفؤاد　　وما فعل الشوق بي واشهدي
فقال لها القلب هذا غرامي　　وبعض غرامك ان تسهدي
فخذ منيَ اليوم قلبي وعيني　　وذي الروح أُسلمها في غدِ

﴿ وقال ﴾

يا نسيم الرُّبى وفيك التحايا　　أنا ميتٌ من طول صد وهجر
وأرى هذه التحية روحاً　　فانفخ الروح يا نسيم بصدري

﴿ وقال ﴾

يا طويل الصد لا أعـ　　ـلم ما هذا التمادي
جمع الله علينا　　بين هجر وبعادِ
فرماني في بلاد　　ورماكم في بلادِ
أترى تجمعنا الأ　　يام أم يوم التنادي
فتحت ذكراك مني　　كل جرح في فؤادي

﴿ وقال ﴾

أرى الهجر أن تذكر الهجر لي　　فان القلوب بما تذكرُ
وإن السماء اذا ابرقت　　غدت بعد ابراقها تمطرُ
اخاف عليك وما إن تخاف　　وأنت المُطاع بما تأمرُ
وما آفة النفس بعد المتاب　　إلاّ الغرور بمن يغفرُ

﴿ وقال ﴾

سَنَّ الزمان شريعة البـ　　ـؤسي فدان الخلق أجمعْ
لكنني مع من أحـ　　ـب خرجت عما بات يشرعْ
وقضيت أياماً رأيـ　　ـت الشمل فيها كيف يجمعْ
وعرفت لذات الوصا　　ل وكيف أن الحب يصرعْ
فتنبه الدهر الخؤو　　ن وغاظه ما كنت أصنعْ
وقضى علينا ثم شتـ　　ـت ذلك الوصل وقطّعْ
وأشد ما يلقى الفتى　　إن كان بعد العزّ يخضعْ

﴿ وقال ﴾

يداعب صديقاً ينظر في وجه كل سيدة

أدرت عيونك في كل وجه ... ونطقت باللحظات الخصورا

وكدت تشك بهن القلوب ... وتلحم أسيافهن الصدورا

فلا عجب أن يصد الحسان ... وأن يتعلمن فيك النفورا

تلثمهن بلحظ وقاح ... ويمنعهن الحياء السفورا

لعلك تعلم أن الظباء ... ينفرن إما رأين (البعيرا)

وهبك (خفيرا) لهذي الطريق ... فلست على النيّرات خفيرا

أرى نظراً كالطفيلي لا ... يوجه حتى يعود حسيرا

فلو خلق الله فيك العيون ... طيورا لما بت الا ضريرا

﴿ وقال ﴾

في غادة صفرآء

قابلت وجهها بوجهي فلاحت ... صفرتي فيه فاكتسى من سماتي

وبدت لي صفرا فخلت فؤادي ... خبأت فيهِ جمرة الوجنات

قل لمن عاب وجهها أي ذنب ... في انطباع الألوان للمرآة

﴿ وقال ﴾

يقص حادثة

بيَ الهوى إن كنت لم تعرفي ... يا أُخت بانات الربى فاعطفي

أسألك الانصاف إن لم يكن ... يحرم في شرعك أن تُنصفي

وكل ما تقضين أرضى به ... وانما يحسن أن ترافي

هل انا جانٍ يا عيون الظبا ... وأين سيفي عند ذي الأسيفِ

أحلف بالله على أنني ... لولا اتقاء الريب لم أحلفِ

لاضعفتني عين تلك التي ... إن نظرت في حجر يضعفِ

واضلعي تشهد أني « بري » ... أما تراها إن رنت تقصف

فما لها هل عرفوا ما لها ... تفتك بالناس ولا تكتفي

أهكذا كل لحاظ الدمى ... وكل قد للدمى أهيفِ

يا أُختها قولي لها ذا الفتى ... يئن من وجد بنا مدنفِ

عديهِ وعدا إنه هالك ... وسوّفي من بعدُ أو أخلفي

* * *

قالت لها يا أُخت هذا الفتى ... أبر من يصفو لمن يصطفي

إن تمنعيه الوصل أو تمنحي ... فليس يسلونا ولا يشتفي

وإنني أخشى على عرضنا ... قافية كالصارم المرهفِ

« وشاعر الحسن » اذا قالها ... قدسها العشاق كالمصحف

* * *

قالت لها هذا الذي ضره ... إني أُحب العاشق المختفي

العشق في القلب فما باله ... يذيعه في هذه الأحرف

سيان عندي أن يقولوا شقي ... من بعد هذا أو يقولوا شفي

وما على مثليَ من مثله ... لو أنه كان أخا يوسف

قولي له « لم ترض » ثم انظري ... ما يصنع المسكين ثم اصدفي

* * *

قالت لها يا أُخت لا تفعلي ... إني لأخشى بعدُ أن تأسفي

هبيه ما قلت فكم غادة … مما شداه فيك لم توصف

وكم يداس الزهر لكنما … لعزه زهرك لم يُقطف

يحسدنا الناس على شعره … وليس إلاّ في هواه وفيـ : ك

وما يكون الطير في أيكه … ان طلع الصبح ولم يهتف

***

فاستضحكت هند وقالت لها … إذن يوافينا الى الموقف

والسعد كل السعد فيما أرى … عود غريب الدار للمألفِ

والحسن زيت لشباب الفتى … إن جف منه لحظة ينْطَفِ

﴿ وقال ﴾

تَعِدُ الملاح وأهون الأ … شياء أن تعد الوعودا

والحب إن زاد الحبيـــ … ـب أمانيَ العشاق زيدا

والحسنُ اعلق بالقلو … ب إذا تمنع أن يجودا

من ذا يطيق يرى ذُكا … الاّ إذا كانت بعيدا

والعيـد يرقبـه الورى … من أجل ذا سموه عيدا

لاترج أن يرضى الحبيـــ … ـب اذا بدا لك أن تريدا

ان البخيل على غنا … ه يعيش بالبخل سعيـدا

ولو ان في الدنيـا وفا … ءًا كانت الدنيا خلودا

﴿ وقال ﴾

يا كاس ما ذا أُريد بعدي … وقد أراني أموت وحدي

يا ليت عند الحبيب مني … ماهو من ذا الحبيب عندي

فمثّلي خده فإني … رأيت ما فيك ماء (ورد)

يا كاس داوي جروح قلبي … فإن داء الغـرام يعـدي

وثبتيني على زمان … يرقص بالناس رقص قردِ

قُضي عليَّ الذي أراه … من يوم مهدي ليوم لحدي

﴿ وقال ﴾

قد كان فيك غرامي … كالنار في مقلتيا

وكنت لي في منامي … كالمال في راحتيـا

ومذ صحوت من الحـــ … ـب إذ كواني كيا

فتحت كفي ولكن … لم أُلفِ من ذاك شيا

وقد يموت هوى المر … ء وهو ما زال حيا

﴿ وكتب ﴾

يستأذن على فضيلة الاستاذ الحكيم مفتي الديار المصرية لقوم ذهبوا في قضاء حاجة

ببابك العالي ذووا حاجة … لولا التقى قلت ادخلوا سجدا

فأْذن لعل القوم مثل الذي … قادته تلك النار نحو الهدى

﴿ وقال ﴾

وكتب بها الى نجل عمه الاستاذ العلامة الشهير الشيخ صالح افندي الرافعي حفظه الله

أراها وقـد جعلت تمطلُ … ذُكاء تضيء ولا تنزلُ

يضن الجمال بأربابه … وأهل الجمال به أبخلُ

وسيان في الطير عصفورة … اذا انفلتت منك والبلبلُ

فيا من جُعلت لهـا خاتماً … متى تلبس الخاتمَ الأنملُ

تدوسين فوق الثرى مهجتي ... وطيفك في أعيني يرفلُ
لئن منعوك فسلك المنام ... ما انفك ما بيننا ينقلُ
فمنك اليَّ ومني اليكِ ... كلانا لصاحبه يحملُ
وذو الشوق يسعى على عينه ... اذا قعدت بالهوى الأرجلُ
سلي الصبح كيف اراق الكرى ... وعينيَ ما أوشكت تثملُ
رمى الفجر فانفجرت عينه ... دماً فأتى بالندى يغسلُ
وأضرم من شمسه شعلةً ... لجنَّ على حرها المقتلُ
كذاك أرى الناس في غدرهم ... تساوى الأواخر والأولُ
(أصالح) قل لي متى نلتقي ... فبعضيَ عن بعضه يسألُ
أراك تُؤيدني في البيان ... كما اتحد القلب والمقولُ
ولو لا الفؤاد وميزانه ... لمال (اللسان) فلا يعدلُ
ألا أنذر الفئة الحاسدين ... سيوفاً متى ضربت تفصلُ
وقل للعصافير لا تبرحي ... ولا تمرحي قد هوى الأجدلُ[1]
عجبت لهم وعجيبٌ اذا ... عجبت لمن لم يكن يعقلُ
وما يستوي الجفن فيه الغبار ... وان أشبه الكحلَ والأكحلُ
همُ نخلوني فماذا رأوا ... أأمسك نور الضحى المنخلُ
وثار الغبار فيا أُفق هل ... جلالك مرآتك الصيقلَ[2]
وأقبل فار فما للجبال ... لم يلق عاليها الأسفلُ

(١) الاجدل الصقر (٢) الصيقل من يصقل السيوف والمعنى ان السماء لا تحتاج لمن يجلوها اذا ثار اليها غبار الارض

وكيف يخيف الهلال الدجى ... ويُرهب عنترة المنصلُ
رأوا ليَ في حكمتي ثانيا ... كما ينظر الواحدَ الاحولُ[1]

﴿ وقال ﴾

يهنئ صديقه الفاضل الاديب الياس افندي العجان بعيد رأس سنة ١٩٠٤

يا أخا الفضل شهدنا خلقاً ... لو يكون الدر كنت معدنَهْ
شيمة يا حسنها من شيمة ... وكمال رائع ما أَحسنَهْ
إن أيامك للدهر حلىً ... وفتىً مثلك يحلي زمنَهْ
فهو يهديك مع الأيام من ... كل عيد وسرور ايمنَهْ
وإذا العام غدت أطرافه ... عيد قوم فلكم « رأس السنَهْ »
دمت للمجد ودام معلنا ... في الورى من فضلكم ما أعلنَهْ
ولو اني اسطعت أنطقت لكم ... بمديحي كل هذي الألسنَهْ

﴿ وقال ﴾

كذلك يهنئ صديقه الفاضل الاديب جورج افندي ابراهيم

لياليك عيدٌ وعيدٌ وعيد ... لنفسك والصحب والازمنَهْ
فأنت تُهنّى ونحن نهنّي ... وحتم على الدهر أن يعلنَهْ[2]
أرى العيد يأتي سواك بيوم ... ولما أتاك أتى (بالسنَهْ)
فقابل بها السعد والق الزمان ... واحيي الحياة به آمنَهْ

(١) من عجيب الاشياء ان الاحول يرى الواحد اثنين والظبي يمضغ الحنظل فيستحليه والله يعلم وأنتم لا تعلمون
(٢) الضمير في يعلنه عائد على الهناء وهو مفهوم بالقرينة ومثله (اعدلوا هو اقرب للتقوى) اي العدل

﴿ وقال ايضاً ﴾

لصديقه الماجد أمين افندي الطحان وعيد طائفته بعد تلك بايام لاختلاف الحساب بينهما

سعدت فجاء عيدك شمس سعد ... تضيء لك الليالي والسنينا
وإن يسبقه عيد فهو أغلى ... كذاك العين لا تعلو الجبينا
كلا الاثنين در غير أني ... أرى ما في الفم الدر الثمينا
فدمت بكل عيد للمعالي ... ودمت على خزائنها « أمينا »

﴿ آية العدل ﴾

وقال يهنيء نسيبه الماجد الامثل السيد محمد افندي عبد الرحمن البرقوقي عمدة (مينة جناج) وكان قد حكم عليه ابتداء في تهمة باطلة ثم برّأه الاستئناف

(محمدٌ) مالك من خاذل ... فالحقُّ منصورٌ على الباطلِ
والناس إما غفلوا مرّةً ... عنك فما ربك بالغافلِ
العدل والعقل اليفا هوىً ... وليس كل الناس بالعاقلِ
والسيف إن يصدأ بكف الذي ... يحمله فالأمر للصاقلِ (١)
ان كان في الارض نبي فما ... أراهُ غير الحاكم العادلِ
فرحمة الله بهذا الورى ... منزلةٌ في قوله الفاصلِ
والحق إن لان ولكنه ... يودي بذاك الباطل الباسلِ
كالموج مهما همَّ في وثبه ... تراه ينحلُّ على الساحلِ

﴿ وقال وهي ساقطة من باب الغزل ﴾

دارت علينا للهوى راحة ... فبت أسقاها وأسقيه
من مهجة تنساب في مهجة ... آخذها فيَّ الى فيهِ

(١) يشير الى رجوع الأمر للاستئناف

والقلب من ذلي ومن دله ... كقوم اسرائيل في التيهِ
يا طول سقم القلب اما غدا ... يمرضه من كان يشفيهِ

﴿ وقال ﴾

لو تنصفون لقلت آهُ ... مات العليل فما دواهُ
ما كاد يطوي جانبيهِ ... على الاسى حتى طواهُ
ورأى الهوى ناراً فلم ... يخف الهوى حتى كواهُ
شيء يسمى بالغرا ... م وليس يدري الناس ما هو
بين السعادة والشقا ... ء فكلما عرفوه تاهوا
يا مقلتيَّ اذا بقى ... في الجفن دمع فاسكباهُ
واذا احتمى بكما الكرى ... بعد التفرق فاطرداهُ
اخذ الحبيب عليَّ عهداً ... أن أعذّب في هواهُ
ومن العجائب انني ... راضٍ واسأله رضاهُ
الحاظه كالنحل تحمى ... ما اجنّته الشفاهُ
فاذا رنا لم يبق قلباً ... سالماً الا رماهُ
واذا مشى وقعت على ... كبدي واحشائي خطاهُ
يا رب هل أبدعته ... الا ليفتن من رآهُ
اطلعته قمراً فكا ... ن سواد حظي من دجاهُ
وخلقته رشأ فكا ... ن مراح اضلاعي حماهُ
وبريته غصناً فروّ ... ى دمع اجفاني ثراهُ
بعض الهوى عذ ... بٌ وسائره العذاب لمن بلاهُ

﴿ وقال ﴾

انا راضٍ بكل ما يرضيكا ... فالى كم هذا التمنع فيكا
وكفاني ما قد لقيت فمن لي ... ان ما قد لقيته يكفيكا
أتمنى لو تعرف الحب يوماً ... غير اني اخاف ان يبكيكا

يا مليك الجمال انت على عر   ش فؤادي قد استويت مليكا
ولعمري ما قست صاحب ملك   بك الا رأيته صعلوكا
سهد الحب أعيني وجفاني   من يواسي الحزين الا الديكا
فهو ان قلت (أوه) من الم الو   جد رثى لي فصاح (كاك وكيكا)
آه من هذه القلوب وهيها   ت أرى لي بين القلوب شريكا
قد تركت الانام اني متى احتج   ت اليهم رأيتني متروكا

﴿ وقال ﴾

في مليح رآه نائماً

وبي من الانس ظبيٌ   رميته ورماني
جرى معي في هواه   كما جرى بي زماني
فنمت كيما اراه   ونام كيلا يراني

﴿ وقال ايضاً ﴾

يا مدني الجمرة من خده   صيرت قلبي بين نارينِ
فما عجيب ان همت ادمعي   تجري بها عيناي نهرينِ

﴿ وقال فكاهة ﴾

قلت للشادن مل لي   قال « دعني انا مالي »
قلت سل لي ذلك القلـ   ـب فقال القلب سالي
قلت خل الروح تخرج   قال هذا الجو خالي
قلت فابلل من غليلي   قال « هاها » من يبالي
قلت ما اعجب حالي   قال ما اعجب حالي

﴿ وقال ايضاً ﴾

شادن يفتن الورى   فتنة أي فتنة
شهر الحرب لم يخف   عندها اي دولة
عينه في تحول   من ضمير لمهجة

خده في تحول   من نضار لفضة
ترك الناس والنسا   بين « آه ودهوتي »
وأراني لحبه   بين حي وميت
هو في الحب قبلة   وجهت كل وجهة
ولقد فات عاذلي   عصر تحويل قبلتي

﴿ وقال ﴾

في مسيح الهند غلام احمد القادياني

عثرت في مدارها الايام   ام هو الدهر هكذا والانامُ
أهله بين ذي هدًى وضلال   ولياليه ذو سنا وظلامُ
وأرانا بمدة العمر نشقى   وعدو المسوّمات اللجامُ
ليس كل الذين تبصر ناسا   ان بعضاً من الطيور الحمامُ
ولكل الورى رؤس فان لم   يكن العقلُ كانت الاوهامُ
ايه (يا هند) عن مسيحك ما زا   ت وزالت ببيتك الاصنامُ
كان في جسمك الوباء فقد د   بَّ الى العقل بعد ذاك السقامُ
ضلة للفتى ومن تبعوه   اشرق الصبح والقبور نيامُ
مسحته الجنّان ام مسخته   وتولاه « جلجلٌ ام عزامْ »
وأتته الاقوام تترى ولا غر   وعلى الجرح للذباب ازدحامُ
واذا كان في الرؤس ضلال   وقفت عند قصدها الاقدامُ
نسخ السيف ذلة ورياء   وجديرٌ بناسخيه الحسامُ
أيهذا المسيح ان الليالي   في بنيها من الزمان سهامُ
وأرى الدهر كالوغى وقديماً   كان بين الانام هذا الخصامُ
فارفع الارض فوق كفيك وأمر   يملأ الارض بعد ذاك السلامُ
أو فعد للسماء ان الشياطـ   ـين عليهم باب السماء حرامُ
وتحد الورى بسخفك اوسجـ   ـعك ان الكرى له احلامُ

لو سألت الحمار حين تراه … في نهيق لقال ذي أحكامُ

﴿ وقال ﴾

وقد ذكر له بعض من يدعي الشعر

الشعر في ارؤس من يدعي … كالدين في اوهام هذي العوام

محرمٌ الا على أهله … وكم من الجهال يأتي الحرام

فانظر لمن أبصرت في كفه … منهم يراعا هل ترى (ذا الجام)

وما (ابن عمار) اذا قسته … بجمعهم في الشعر الا امام[1]

﴿ وقال في بعضهم ﴾

دع الشعر ما كل امرئ يذكرونه … ببيتين او شيء من القول قوالُ

فلو تخلق الاشعار في الرأس لم يكن … برأسك الا القفر والشعر أغوالُ

رأيتك وزّانا فلفظك كله … قناطير لكنّ المعانيَ مثقالُ

وهب للحصى شيئاً تغربله به … فهل لكلام كالحجارة غربالُ

﴿ وقال ﴾

وكتب بها الى نجل عمه الشاعر المجيد محمد افندي محمود الرافعي وقد ابلغه ان بعض من يسميهم العامة بالشعراء قد تنقصه

اليك فانبئهم باني كفيتهم … ملامي ويا لله كيف ألومُ

اذا لم يكن فيهم سوى هذيانهم … فاني عليهم بالسكوت كريمُ

اضنُّ بلفظي ان يقال استحقه … على نزغات الهجو منه لئيم

وما ضائري ان يستعيروا شهادةً … لبعضهم ان النفاق قديمُ

وكم تنعق الغربان لكن بومةً … تقول اسمعوا ان الغراب حكيم

فقل للذي ما زال يجريه نومه … متى تلحق الساعي وانت مقيمُ

(١) ابن عمار رجل اشتهر بسخافة ابيات نظمها لغير معنى على غير رويّ

وما دام شعر القوم أمسى كما ترى … شعيراً فقل ان الزمان بهيم

﴿ وقال ﴾

في انسان يذكر عن الشاعر انه مقلد

يقول قلدته فسله … اكان جبريل عين (دحيه)

ويدعي في الورى كأن قد … القى عليه الاله وحيه

اذا هزا بالرجال طفلٌ … فقل له ما لهم بلحيه

﴿ وقال ﴾

يعزي ابن عمه الاديب الشيخ احمد افندي الرافعي عن وفاة والدته المبرورة

لمن الامر غيره سبحانه … أترى المرء دائناً ديانه

جرت الناس في الغرور بعيدا … وقضا الله قد جرى جريانه

فكأن البسيط ميدان سبق … رامحات افراسه فرسانه

ان دعا فارس الى الموت قرنا … سبق الموت نحوه اقرانه

فلك دائر الحوادث والنا … س يظنون وقفةً دورانه

باع في الارض انفساً بنفوسٍ … فلذا الموت ناصب ميزانه

رُب ذي زينة بميل على الار … ض ارتنا اثوابه اكفانه

واذا ما البستان انيد … ت زهرا جعل الريح قبره بستانه

انما الارض لابن آدم سجنٌ … وارى الموت عندها سجانه

فمن الجيل ان تشيع بالحز … ن سجينا قد فرّجوا احزانه

فاتئد « احمد » فتلك سبيل … كل حي لاقٍ بها اخوانه

ما ترى النجمة المضيئة فجراً … كيف اغرى بها الضحى طوفانه

ان نفساً اراك سلت عليها … درة أديت وكانت امانه

صاغها الله كالنسيم فلا غر … و اذا ما النسيم حلّ جنانه

فكل الامر للذي صرّف الامـ … ـر واحسن رضا تنل احسانه

ان سخط النفوس كفر بنعمي الا … له فليحرس الفتى ايمانه

تقاريظ

قال أمير السيف والقلم ، ورافع العلم والعَلَم ، صاحب السعادة الامير الخطير المرحوم محمود سامي باشا البارودي طيب الله ثراه

« لمصطفى صادق » في الشعر منزلةٌ   أمسى يعاديه فيها من يصافيه
صاغ القريض باتقانٍ فان تُليت   صدوره علمت منها قوافيه
مهذب الطبع مأمون الضمير اذا   بلوته كان باديه كخافيه
حاز الكمال فلم يحتج لمنقبة   فلست تنعته الا بما فيه

وقال

شاعر البدو والحضر ، وسيد من نهى بين أهل الكلام وأمر ، حسنة هذا الزمان وكوكب فلك البيان ، الاستاذ المفضال الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر الآن وكان حفظه الله قد علم بشروعنا في الطبع وهو من النسيم ، سقيم ، فبعث الينا بهذه الانفاس التي تحملها النسمات ، والعيون التي أصبحت كلها لحظات ، قال :

أدري المفوَّه « مصطفى »   صفرت وطاب بغيضه
أن الحوادث أقعدتني   عن أداء فروضه
ليصح لعذر أخي ضنا   قلق الضمير جريضه
ولقد أرى والعام مكسوُّ   العرى بنحوضه
أدباً يفيض على الورى   لله در مفيضه
يجلو عرائس خاطر   كالبرق عند وميضه
وبنات فكر لم يصلنها   الفكر عند وفيضه
فكر اذا ما الامر أشكل   حل عقد غموضه
هو من علمت فكل فضلٍ   نابت بأروضه
فاذا انتمى الأدب الصريح   له انتمى لمحيضه
قد حل عقدة كل صعب   قبل شد غروضه
من بعد ما سكن الرجاء   أنابه لنبوضه

يا من تنزى للعلى   كالشبل بعد ربوضه
عرضت نفسك للتخيل   قبل حين عروضه
واخترت أشرف مذهب   فسلكت غير دحوضه
فلكت أرسنة النظا   م ورضت صعب عروضه
وظللت تلعب بعدها   بجموحه ومروضه
وكذا اذا نهض المجد   يراح بعد نهوضه
وطدت ركناً قد أمسنا   الدهر من تقويضه
وحلفت لا تبقي على   واهي الكلام حريضه
صل كيف شئت بسمره   بين الملا وبيضه
ما الرمح في تطعانه   والسيف في تفريضه
بأشد فتكا من نظيمك   في فؤاد رفيضه
فشبا لسانك لا شبا   عضب الغرار نحيضه
ويراع فكرك لا السنا   ن يهاب عند نغوضه
الشعر فوّض أمره   ونجاك في تفويضه
وعليك أسبغ برده   لتجر ذيل رحيضه
فقبضت من مبسوطه   وبسطت من مقبوضه
وتركته من بعد ما   بالغت في تأريضه
يختال بين وريقه   متبختراً وغضيضه
فاذا اراه النور غضَّ   النور من اغريضه
أمصوراً ما في الوجو   د بقضه وقضيضه
ان الذي اعطاك اعطى   القدح كف مفضيه
حلّق بقادمة الجنا   ح وطر بغير مهيضه
اشرقت فوق سمائه   وسواك دون حضيضه
ديوان شعرك حير الشعراء   في تقريضه

ماذا يقول مقرضو ه وانت رب قريضه
ما الروض زوّده الربيـ ع وزاد في ترويضه
وافتص غادي القطر عذ رة زهره بفضيضه
اضحت تغازله ذكا فافتر ثغر اريضه
وجلته ما شطة الصبا . فعلا شذا إنقيضه
بألذ من مختومه نشراً ومن مفضوضه
واجل من مرفوعه وقفاً ومن مخفوضه
هذا البيان فقل لمن قد ظل دون نقيضه
قد فاتك القول الصحيح فملت نحو مريضه
صمتاً فذا اسدُ الكلا م فما طنين بعوضه

(وقال)

حضرة الشاعر الذي ابتدأ حيث انتهى كثير من الشعراء ، وبرع ففاق النظراء ، نجل عمنا الفاضل الاديب محمد افندي محمود الرافعي

سمت بك نفس لاقت العز مغنما ... وقلبٌ اذا ما همَّ بالامر صمّما
فاصبحت لا تجري لشأوٍ قصدته ... من المجد والإفضال الا مقدما
وجئتَ بآيات هي السحر دقة ... اذا تليت أفحمنَ من ليس مفحما
كأنّ بها آي الكتاب نظيمة ... كأنّ بها رُوح البيان مجسما
كأنك والاشعار منك تتابعت ... سماء بيان تهطل القول محكما
لعمرك ما ادري أدرٌّ نظمتَه ... ملأت به سمعي ام اقتدت أنجما
طويت بما أوتيت يا خير «صادق» ... جزالة (بشارٍ) وطاولت (مسلما)
فلا زلت موفور الجنان مسدداً ... وشعرك في نفس الزمان معظما



الخطأ والصواب

وقعت في بعض ملازم هذا الجزء أغلاط مطبعية آثرنا بيان المهم منها وصوابه وتركنا الباقي لفطنة القارئ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١١	زينه	زيته
١٤	٣	أبهم	أنهم
١٥	٥	تدوالها	تداولها
٢٠	٤	القراء	الفقراء
٢٠	١٦	الجد	المجدُّ
٢٣	٢	تقطع	تتقطع
٢٧	٤	نعا	نعيما
٣٩	٤	فخر	فخرا
٤٨	٦	الحب	المحب
٥٢	٥	فرائداها	فرائدها
٥٦	٧	الوجدان	الوَجد
"	١٤	القيل	الثقيل
٥٧	١٤	بهذا . نباة	بهذي . بناه
٥٨	٧	يكتنفانها	يكنفانها
"	٧	فوق النيل	فوقوف الليل
٦٠	٣	صبري	حبري
"	٨	نبتته	نبتت
"	١	في الشرح بالتهزم	بالمنهزم
"	٨	" الفرق	الفرق تعرف
٦١	٩	العظيم	الفطيم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
"	١٥	لمن شاء	كما شاء
٦٢	٩	رأيت والخمر	رأيت الهوى والخمر
٦٣	١	تنفسها	تنفّسه
"	٧	يا ربقة	يا ريقة
"	١٤	الظبى . . كالظبي	الظبا . . كالظبا
١٤	١	التقينا	التقين
"	٢	جزلا	جذلا
"	١٥	انيس	انين
"	١٩	ركفة	كفّة
٦٥	١١	أعضائها	أغصانها
٦٦	٤	جرى قد	قد جرى
"	١١	وحالت	وخالت
٦٨	١١	ارتفت	ارتفعت
٦٩	٤	اللسطان	السلطان
"	٨	نخالها . . خلتها	تخالها . . خلته
٧١	١	ملأت	مُلئت
٧٢	٣	افررت . . تكفئها	اقررتَ تُكفؤها
"	٩	على صر	على بصر
٧٣	٤	هذر	هذي
"	٦	عزة	غرّة
"	٦	يغري	يفري
٧٧	٤	أوّه . . أوّاة	ويلاه . . ويلاه
٧٨	٧	كالغاب	كالناب